عربات الآلهة

إريش فون دانيكن
ترجمة/اسامة عبد الرحمن

الدار الذهبية

للطبع والنشر والتوزيع

15 شارع الجمهورية-عابدين

27951748-2393382تليفون

E-mail:aldaralzahabia50@yahoocom

رقم الايداع 4483/2012

الترقيم الدولى 978-977-141-799-2

مقدمة

لقد تطلب هذا الكتاب شجاعة لتاليفه مثلما سيحتاج إلى شجاعة لقراءته ولأن نظرياته وبراهينه لا تنطبق على فسيفساء الأركيولوجيا التقليدية ذات التركيب المتقن والسبك المتماسك فإن العلماء لن يعباوا به وسوف يضعونه على قائمة الكتب التي ينصح بتجاهلها أما الناس العاديون فسوف ينسحبون إلى عالمهم المالوف يتقوقعون فيه عندما يواجهون باحتمال أن يكون الكشف عن الماضي محفوفة بالمخاطر والألغاز أكثر من الكشف عن المستقبل

لا داعي للقول أن الشيء الوحيد المؤكد هو وجود شيء من التناقض والتضارب فيما يتعلق بماضينا، ذاك الماضي الذي يقبع وراءنا على بعد آلاف وملايين السنوات لقد كان الماضي حافلا بالألهة المجهولة التي زارت الأرض المبدئية على متن مراكب فضائية ماهولة وحدثت في الماضي انجازات تقنية لا يمكن تصديقها وهناك كم هائل من المعارف التي أعدنا اكتشافها اليوم فقط

ثمة شيء من التضارب حول اركيولوجيتنا؟ لأننا نعثر على بطاريات كهربائية عمرها الاف السنوات ولأننا نعثر على مخلوقات غريبة بلباس الفضاء الكامل ذي الأحزمة البلاتينية ولأننا نصادف أعدادا مكونة

من خمسة عشر رقم وهو ما لم يتوصل إليه أي كومبيوتر ولكن السؤال المطروح هو كيف اكتسب البشر الأوائل القدرة على ابتكار هذه الأشياء التي لا يمكن تصديقها ؟

وثمة شيء من التضارب حول ديانتنا أيضا ذات السمة المشتركة لكل الديانات هي أنها وعدت بتقديم العون والخلاص للجنس البشري إلا أن الآلهة قد اطلقت وعودا من هذا القبيل أيضا فلماذا لم تفي تلك الألهة بوعودها ؟ لماذا استعملت الأسلحة الحديثة انذاك للقضاء على الشعوب البدائية ؟ ولماذا خططت لإفناء هذه الشعوب ؟ دعونا نتقبل الفكرة القائلة بان عالم الأفكار الذي نشا وتضخم على مدى ألف سنة هو في طريقه الى الانهيار ؛ حيث أن سنوات قليلة من البحث العلمي الدقيق قد ادت الى تقويض ذاك الصرح الفكري الذي شيدناه ونحن قابعون في منازلنا إن المعرفة التي كانت مخباة في مكتبات الجمعيات السرية قد صارت الأن عرضة للكشف كما أن عصر الرحلات الفضائية لم يعد عصر الأسرار فارتياد الفضاء الذي يهدف الى بلوغ الشمس والنجوم إنما يقوم أيضا بسبرمفاور الماضي لنا ومن الظلمات الداكنة تطل علينا الآلهة ويطل علينا الكهنة والملوك والأبطال ولابد لنا من أن نتحداهم لكي يبوحوا لنا باسرارهم لأننا نمتلك السبل الكفيلة بالكشف عن ماضينا برمته دون بقاء

ثغرات اذا كنا نريد ذلك فعلا إن المخابرات الحديثة يجب أن تباشر الأبحاث الأركيولوجية ويجب على الأركيولوجيين أن يزوروا المواقع غير المطروقة في الماضي مصطحبين معهم أجهزة القياس البالغة الحساسية ويجب على الكهنة الذين ينشدون الحقيقة أن يعاودوا الشك في كل شيء مثبت ومبرهن لقد تركت ألهة الماضي الغابر أثارا لا حصر لها يمكننا أن نقرأها اليوم ونفك طلاسمها لأول مرة لأن مسالة ارتياد الفضاء البالغة الأهمية في أيامنا لم تكن مشكلة بد كانت حقيقة قائمة بالنسبة لأولئك الذين عاشوا منذ آلاف السنوات ولأنني ازعم أن أسلافنا تلقوا زيارات من الكون في الماضي البعيد ، وحتي على الرغم من عدم معرفتي حتى الآن من هي تلك المخلوقات الذكية التي تنتمي الى خارج الأرض ومن اي كوكب اتت ، فلا داعي للقول بانني ازعم بان اولئك الغرباء، هم الذين ابادواقسما من الجنس البشري الذي كان موجود آنذاك وولدوا إنسانا جديدا قد يكون أول انسان عاقل إن هذا الافتراض فى حد ذاته ثورة انها تبدد الأساس الذي كان يقوم عليه الصرح الفكري المكتمل ظاهريا وما اهدف اليه هو محاولة إقامة البرهان على هذا الافتراض

الفصل الأول
هل توجد مخلوقات ذكية
في الكون

هل يمكن أن نتصور أننا - نحن سكان العالم في القرن العشرين - لسنا الكائنات الحية الوحيدة من نوعنا في الكون ؟ نظرا لعدم وجود مثال مصفر من نجم آخر معروض في متحف لكي نزوره فإن الجواب القائل بأن كرتنا الأرضية ليست النجم الوحيد الذي يضم كائنات بشرية، مايزال جواباً مشروعة ومقنعة بيد أن غابة علامات الاستفهام تنمو وتزداد حالما نقوم بدراسة متأنية للحقيقة الناتجة عن آخر الاكتشافات وأعمال البحث والتنقيب يقول علماء الفلك أن باستطاعة العين المجردة أن ترى 25 نجم في ليلة صافية إن تلسكوب أصغر مرصد فلكي يمكننا من رؤية حوالي مليونين من النجوم ، أما التلسكوب العاكس الحديث فيستقبل الضوء من آلاف الملايين من البقع الضوئية الموجودة في درب التبانة ولكن ضمن الأبعاد الهائلة للكون لا تبدو مجموعتنا الشمسية سوى جزء ضئيل من مجموعة شمسية أكبر بما لا يتيح أي مجال للمقارنة، أو لنقل أنها ليست سوى جزء ضئيل من سلسلة درب التبان التي تضم حوالي عشرين مجرة ضمن قطر مقداره 1.5مليون مليون سنة ضوئية السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة أي ١٨٩٠٠٠ ومع ذلك فإن هذا الكم الهائل من النجوم بعتبر صغيرا بالمقارنة مع الآلاف الكثيرة من السحب السديمية الحلزونية التي يرصدها التلسكوب الالكتروني مع

تأكيدي على عبارة المرصودة حتى يومنا هذا، لأن الأبحاث من هذا النوع ماتزال في بدايتها تماما يقدر البروفسور هارلو شابلي عدد النجوم الواقعة ضمن مجال تلسكوباتنا بحوالي نجمة وعندما يقارن شابلي مجموعة كوكبية بمجموعة واحدة فقط من بين كل ألف نجم يجوز لنا أن نفترض أن هذا التقدير ينطوي على درجة كبيرة من الحذر لو تابعنا التأمل في القاعدة التي يستد اليها هذا التقدير وتوهمنا وجود الشروط الضرورية للحياة على نجم واحد فقط من بين كل الف نجم فإن هذا الحساب يعطينا رقما مقداره هنا يتساءل شابلي : كم نجمة من هذا العدد والفلكي، يمتلك غلاف جوي ملائم للحياة واحد من كل الف ؟ مع ذلك سينتج لدينا رقم لا يصدق هو نجماً يمتلك الشروط الأولية للحياة وحتى لو سلمنا بأن كوكبا واحدا فقط من الف كوكب قد أنتج الحياة، فسوف نحصل على 100 مليون كوكب يمكننا أن نخمن بوجود الحياة على متنها

إن هذا الحساب إنمايعتمد على التلسكوبات التي تستخدم التقنيات المتوفرة في عصرنا، ولكن يجب علينا ألا نغفل أن هذه التقنيات في تحسن مستمر إذا تتبعنا فرضية عالم الكيمياء الحيوية الدكتور سميلر نجد أن الحياة والشروط الأساسية للحياة ربما تكون قد نشأت على بعض هذه الكواكب بأسرع من نشوئها على سطح الأرض إذا قبلنا بهذه الفرضية الجريئة،

فمعنى ذلك أن حضارات أكثر تطورا من حضارتنا يمكن أن تكون قد نشأت على ١٠٠٠٠٠ كوكب روى لي البروفسور الدكتور ويلي لي الكاتب العلمي المعروف وصديق فرنر فون براون، ذات مرة في نيويورك قائلا :يقدر عدد النجوم في مجرة درب التبان وحدها بحوالي 30 مليار نجم ولقد أصبح من المسلم به لدى علماء الفلك في عصرنا تلك الفرضية القائلة بأن مجرة درب التبان تحتوي على ١٨ مليار مجموعة كوكبية على الأقل ولو حاولنا الآن أن نختزل هذا الرقم قدر الإمكان وسلمنا بأن المسافات بين المجموعات الكوكبية هي على درجة عالية من الانتظام بحيث أنه في حالة واحدة فقط من كل مئة حالة يدور كوكب ما في الغلاف البيئي لشمسه، فإننا نحصل على ١٨٠ مليون كوكب لها القدرة على انتاج الحياة واذا سلمنا بما هو أبعد من ذلك، أي أن الكوكب الوحيد من الكواكب المئة التي يمكن أن تنتج الحياة، هو يوفرها فعلا فإننا نحصل على رقم قدره ١,٨ مليون كوكب توجد عليه الحياة لنفترض أيضا أن من بين كل مئة كوكب حيوي اي تتوفر عليه الحياة يوجد كوكب واحد تتميز المخلوقات الموجودة عليه بنفس مستوى ذكاء الجنس البشري الذي يعيش على كوكبنا ولكن حتى مع هذا الإفتراض الأخير نجد أن مجرة درب التبان التي تنتمي اليها تضم عددا هائلا قدره ١٨٠٠٠ كوكب مأهول، ولما كانت آخر الإحصاءات تقول

بوجود ١٠٠ مليار نجم ثابت في درب التبان ، فإن الاحتمالات تشير الى وجود عدد أكبر بما لا يتيح مجالا للمقارنة من العدد الذي تقدم به البروفسور لي في حساباته المتأنية

إن بمقدورنا ، دون أن نستشهد بالأرقام الخيالية أو أن نأخذ بعين الاعتبار وجود مجرات مجهولة ، أن نسلم بوجود ١٨٠٠٠ كوكب تقترب نسبيا من الأرض من حيث احتوائها على الشروط الأساسية للحياة المشابهة لتلك الشروط الموجودة على كوكبنا ومع ذلك يمكننا أن نذهب أبعد من ذلك الى درجة الجزم بأنه يكفي أن يكون 1٪ فقط من هذه الكواكب ال ١٨٠٠٠ مأهولا بالفعل لكي نحصل على عدد من الكواكب المأهولة قدره ١٨٠ كوكبة ليس هناك من شك في وجود كواكب مشابهة للأرض لها مزيج مماثل من الغازات الجوية ولها جاذبية مشابهة لجاذبية الأرض وغطاء نباتي مشابه، لا بل حتى أن لها غطاء حيواني مشابه أيضا ولكن هل من الضروري بالنسبة للكواكب التي تتوفر عليها الحياة أن تمتلك شروطاً مشابهة لشروط الأرض؟

إن الفكرة القائلة بأن الحياة لا يمكن أن تزدهر إلا في ظل شروط أرضية قد صارت قديمة بفعل الأبحاث من الخطأ الاعتقاد بأن الحياة لا يمكن أن توجد بدون الماء والأوكسجين فحتى على كوكبنا الأرضي توجد أشكال من الحياة

لا تحتاج الى الاوكسجين ويطلق عليها اسم البكتريا اللاهوائية وليس هذا فحسب بل أن وجود الأوكسجين بنسبة معينة يعتبر ماما لها لماذا لا يفترض وجود أشكال من الحياة أكثر رقية لا تحتاج الى اوكسجين؟سوف نجد أنفسنا ملزمين تحت ضغط المعارف الجديدة التي نكتسبها كل يوم على تجديد صورة العالم في أذهانا فالبحث العلمي المتركز حول الأرض حتى وقت قريب جدا قد دأب على امتداح عالمنا باعتباره الكوكب المثالي اذ لا هو شديد الحرارة ولا هو شديد البرودة ويحتوي على كمية وفيرة من الماء، وثمة كميات لا حصر لها من الأوكسجين، وتتكفل العمليات العضوية بتجديد الطبيعة باستمرار في الواقع، إن الافتراض بأن الحياة لا يمكن أن توجد وتنشأ الا على كوكب مثل الأرض غير قابل للبرهان تشير التقديرات الى وجود مليوني نوع مختلف من الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض من بين هذين المليونين ـ ونحن هنا مرة أخرى أمام التخمينات لم صنف من الكائنات تصنيفا علميا سوى ١,٢ مليون فقط ومن بين الأشكال المعروفة علميا ثمة عدد قليل من الكائنات الحية يبلغ حوالي ألف لايزال يفترض أنها غير ملائمة للحياة على الاطلاق تبعا للأفكار الراهنة إن الشروط الأولية للحياة صار من الضروري اعادة النظر بها واختبارها من جديد فعلى سبيل المثال ، يظن المرء أن الماء المشع الذي يتصف بدرجة

عالية من النشاط الاشعاعي يخلو من الجراثيم ولكن، في الواقع ، توجد بعض أنواع من البكتريا التي تمتلك القدرة على التكيف مع الماء القاتل الذي يحيط بالمفاعلات النووية، إن التجربة التي أجراها العالم الدكتور زينل تبدو مخيفة فقد قام هذا العالم بإعادة خلق الظروف الجوية لكوكب المشتري في مخبره وعمد الى تربية البكتريا والعت في هذا الجو الذي لا يتوفر فيه أي شرط من الشروط الأولية التي حددناها سابقا «للحياة» إن الأمونيا والميتان والهيدروجين لم تقتل هذه البكتريا والعت كما أن التجارب التي أجراها هنتون ويلوم ، عالما الحشرات في جامعة بريستول، قد توصلت الى نتيجة على نفس القدر من الإثارة فقد قام العالمان المذكوران بتجفيف نوع من ذبابة لعدة ساعات في درجة حرارة ٠٠ام ثم قاما بعد ذلك مباشرة بتغطيس هذه الحيوانات المخبرية في الهليوم السائل الذي ـ كما هو معروف ـ يتصف بدرجة من البرودة مساوية لبرودة الفضاء وبعد تعريضها للإشعاع الثقيل استعادت الذبابات شروط حياتها الطبيعية ، وتابعت هذه الحشرات وظائفها الحياتية الحيوية وأنتجت ذرية من الذباب السليم، تماما كما أنا نعرف أنه توجد بكتريا تعيش في البراكين وبكتريا أخرى تأكل الحجر وبعضها الآخرينتج العديد وهكذا تنمو أمامنا غابة علامات الاستفهام

تجرى التجارب على قدم وساق في مراكز الأبحاث الكثيرة وتتراكم

البراهين المؤكدة على أن الحياة لم تعد بأي شكل من الأشكال مقيدة بالشروط الأولية للحياة على كوكبنا ولعدة قرون كان العالم يبدو وهو يدور حول القوانين والشروط التي تحكم الحياة على الأرض إن هذه القناعة قد شوهت وضللت طريقتنا في النظر الى الأمور ، ووضعت غمامات على عيون البحاثة العلميين الذين لم يترددوا في قبول معايير وأنظمة تفكيرنا ضمن نظرتهم الى الكون لقد كان تيلار دو شاردان المفكر الفاتح لعصر جديد يرى أن الخارق وحده هو الذي يمتلك الفرصة لأن يكون واقعية في الكون لوسارت طريقة تفكيرنا في الاتجاه المعاكس لكان ذلك معناه أن المخلوقات الذكية على كوكب آخر تعتبر شروط حياتها بمثابة محك لو عاشت في درجات حرارة تتراوح بين - ٥٠ ام و - ٢٠٠م لكانت آمنت بأن درجات الحرارة تلك التي تعتبر مدمرة للحياة كما نعرفها اليوم هي درجات الحرارة الأساسية الضرورية للحياة على كواكب أخرى وهو نفس ما كان سيترتب على المنطق الذي نحاول بموجبه أن نلقي الضوء على ماضينا المظلم ، إن كل ما هو عقلاني وموضوعي نزوه الى احترامنا لذاتنا وفي وقت أو آخر كانت كل نظرية جريئة تبدو خيالا يوتوبيا فكم من اليوتوبيات بقيت على حالها قبل أن تتحول الى حقائق عادية بالطبع، إن الأمثلة المعطاة هنا إنما يقصد بها الإشارة الى أقصى الإمكانيات البعيدة الاحتمال

ومع ذلك، ما إن تتحقق صحة الأشياء اللامحتملة التي لا يمكننا تصورها حتى تسقط الحواجز مفسحة المجال لبلوغ المستحيلات التي لا يزال الكون يحجبها وحتى لو لم تكن موجودين هناك لنراها، فسيكون لزاما عليهم أن يتقبلوا حقيقة أنهم ليسوا المخلوقات الذكية الوحيدة في الكون ولا أقدمها بالتأكيد يقدر عمر الكون بما يتراوح من 8 الى ١٢ مليار سنة ويتبين من فحص النيازك تحت المجهر أنها تجلب معها آثارا من مادة عضوية فالبكتريا التي يبلغ عمرها ملايين السنوات تستعيد الحياة من جديد إن الأبواغ العائمة التي يدفعها ضوء الشمس تعبر الكون، وفي لحظة من اللحظات بأسرها الحقل الجاذبي لكوكب من الكواكب إن الحياة الجديدة قد استمرت في النشوء في دورة الخلق السرمدية الدائمة عبر ملايين السنوات تثبت الاختبارات المتأنية اللاحصر لها لكافة أنواع الحجارة في كل بقاع العالم أن قشرة الأرض قد تشكلت منذ حوالي4 ٠٠٠ مليون سنة نعم، وكل ما يعرفه العلم هو أن شيئا ما يشبه الانسان كان موجودة منذ مليون سنة ومن هذا النهر الزمني العملاق لم ينجح العلم في تحديد سوى نهير ضئيل يبلغ ٧٠٠٠ سنة من التاريخ البشري مقابل الكثير من الجهد الشاق والمغامرات العديدة والقدر الهائل من الفضول ولكن ما الذي تعنيه ٧٠٠٠ سنة من التاريخ البشري بالمقارنة مع آلاف الملايين من السنوات

من تاريخ الكون؟ فهل نحن المثال على الكمال في الخلق؟ لقد احتجنا الى ٥٠٠٠٠٠ سنة لكي نصل الى وضعنا الحالي والى هيئتنا الراهنة فمن بمقدوره أن يقيم البرهان القاطع الذي يفسر لنا لماذا لم يكن من المفروض أن كوكب آخر كان يوفر شروطاً أفضل لنشوء مخلوقات ذكية أخرى أو شبيهة بنا؟ هل يوجد مبرر لكوننا لم نصادف منافسين لنا على كوكب آخر، مساوين لنا أو متفوقين علينا؟

هل نحن مؤهلون لاستبعاد هذه الإمكانية؟ إننا ما زلنا نفعل ذلك حتى هذه الساعة فكم عمود من أعمدة حكمتنا تهاوى وصار غبارة : إن مئات ومئات الأجيال كانت قد آمنت بأن الأرض مسطحة إن القانون الحديدي القائل بأن الشمس تدور حول الأرض قد ظل اعتقاد راسخة لالاف السنين وما زلنا مقتنعين بأن كوكبنا الأرض ـ هو مركز كل *شيء* على الرغم من أنه قد ثبت أن الأرض كوكب عادي ذو حجم ضئيل

يبعد ٢٠٠٠٠ سنة ضوئية عن مركز مجرة درب التبانة لقد آن الأوان لكي تعترف بضالتنا الناجمة عن الاكتشافات التي نقوم بها في الكون اللامحدود الذي لم يتم سبره حتى الآن وعندئذ فقط سنتاكد من اننا لسنا سوى نمل في دولة الكون الشاسعة ومع ذلك، لايزال المستقبل أمامنا، ولا تزال فرصنا

كامنة في الكون حيث وعدتنا الألهة بذلك ولن نتطلع الى المستقبل قبل أن نمتلك القوة والجرأة الكافيتين لاستكشاف ماضينا بنزاهة وتجرد

الفصل الثاني

لقد بات جول فيرن ، الجد الأكبر لروائيي الخيال العلمي كاتبة معترف به فلم تعد تخيلاته مجرد قصص من الخيال العلمي؛ إذ أن رواد الفضاء في يومنا هذا يدورون حول العالم في ٨٦ دقيقة وليس في ٨٠ يوم

سنتطرق الآن الى وصف ما الذي يمكن حدوثه في رحلة خيالية على متن مركبة فضائية، علما بأن هذه الرحلة الخيالية صارت ممكنة الحدوث بزمن يقل عشرات المرات عن الزمن الذي كان من الممكن أن تستغرقه حسب تصور جول فيرن المخبول لرحلة حول العالم في ٨٠ يوما لتصبح رحلة بسرعة البرق تتم في 86 دقيقة ولكن دعونا نتخلى مؤقتا عن التفكير ضمن مجال هذه الفترات الزمنية القصيرة: لنفترض أن مركبتنا الفضائية ستغادر الأرض باتجاه شمس بعيدة مجهولة في زمن قدره ١٠٠ سنة إن مركبتنا الفضائية يجب أن تكون بحجم السفينة عابرة المحيطات المعروفة في هذه الأيام، وبالتالي سيكون وزنها عند الاطلاق حوالي ١٠٠٠٠٠ طن وتبلغ حمولتها من الوقود ٩٩٨٠٠ طن، أي أن لها وزنا ملاحية فعلية يبلغ أقل من ٢٠٠ الف طن بقليل هل هذا مستحيل؟

بفرض اننا تمكنا من تجميع مركبة فضائية قطعة قطعة بينما هي في مدارها حول أحد الكواكب مع ذلك، فإن هذا التجميع التركيبي سيصبح عديم الفائدة في أقل من عقدين لأنه سيصبح من الممكن إعداد المركبة الفضائية العملاقة

للإطلاق من على سطح القمر هذا بالإضافة الى أن الأبحاث الأساسية الخاصة بقوة الدفع الصاروخية في المستقبل ماتزال جارية على قدم وساق إن محركات الصواريخ المستقبلية ستزود بالطاقة عن طريق الانشطار النووي وستطلق بسرعة قريبة من سرعة الضوء أما الطريقة الجريئة التي أثبتت امكانية تطبيقها بالتجارب الفيزيائية والتي أجريت على الجزئيات الأولية المنفردة، فهي الصاروخ الفوتوني إن الوقود المحمول على متن الصاروخ الفوتوني بجعل سرعة الصاروخ مقاربة جدة لسرعة الضوء بحيث يمكن لعوامل ظاهرة النسبية مثل تمدد الزمن بين موقع الاطلاق والمركبة الفضائية ، أن تفعل فعلها الى أقصى درجة وسوف يتم تحويل امدادات الوقود الى أشعة كهرطيسية، ويتم إخراجها على شكل نافورة نفاثة بسرعة الضوء من الناحية النظرية، تزود المركبة الفضائية بقوة دفع فوتوني قد تصل الى٩٩ ٪ من سرعة الضوء عند هذه السرعة ستصبح حدود المجموعة الشمسية مفتوحة على مداها إنها حقا لفكرة مدوخة للعقل

ولكن ينبغي علينا ونحن نقف على عتبة عصر جديد أن نتذكر أن الخطوات الهائلة التي قطعها أجدادنا في مجال التكنولوجيا كانت في حينها مثيرة للذهول: الخطوط الحديدية والكهرباء والتلغراف والسيارة الأولى والطائرة الأولى ونحن بالذات قد سمعنا الموسيقا عبر الهواء لأول مرة، وها نحن

نشاهد التلفزيون الملون، وكنا قد شاهدنا أول اطلاق للمركبة الفضائية ونلتقط الأخبار والصور من الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض كما أن أحفادنا سوف يقومون برحلات بين النجوم وسيجرون أبحاثاً كونية في الكليات التقنية المتخصصة ضمن الجامعات - إذا كانت المركبة الفضائية تنطلق بسرعة قدرها 99 بالمئة من سرعة الضوء، فإن زمنا قدره 14 ,1 سنة سوف ينقضي بالنسبة لطاقم المركبة السابحة في الكون في حين يكون قد انقضى زمن قدره ١٠٠ سنة بالنسبة لأولئك الباقين على سطح الأرض إن فرق الزمن بين رواد الفضاء والبشر الباقين على الأرض يمكن حسابه بمعادلة رياضية حسب متحولات لورنتس

يمكن حساب سرعة طيران المركبة الفضائية من المعادلة الصاروخية الأساسية التي توصل اليها البروفسور اكيريت سرعة الضوء حمل الوقود عند الاطلاق في لحظة اقتراب مركبتا الفضائية من النجم المستهدف سيقوم طاقمها، بدون شك، بمعاينة الكوكب وتحديد موقعهم منه والقيام بالتحليلات الطيفية وقياس قوى الجاذبية وحساب المدارات وفي نهاية المطاف سيعمدون الى اختيار أحد الكواكب للهبوط عليه ويكون هذا الكوكب مستوفية للشروط الأكثر قرية الى الشروط السائدة على كوكبنا الأرضي اذا كانت مركبتنا هذه مكونة فقط من الوزن الملاحي بعد رحلة

النقل أنها تستمر ثمانين سنة ضوئية، ولأن كل إمدادات الطاقة تكون قد استفدت ، فيتوجب على أفراد الطاقم أن يعيدوا تعبئة خزانات مركبتهم الفضائية بمادة قابلة للانشطار لدى وصولهم الى الهدف إذا، لنفترض أن الكوكب المختار للهبوط عليه مشابه للأرض لقد سبق لي أن قلت أن هذا الافتراض ليست مستحيلة بأي شكل من الأشكال دعونا ايضأ نغامر بالإفتراض أن حضارة الكوكب المقصود هي تقريبا نفس درجة تطور حضارة كوكب الأرض كما كانت منذ ٨٠٠٠ عاما مضت بالطبع، لابد أن يكون كل ذلك قد تم إثباته بواسطة الأجهزة الموجودة على متن سفينة الفضاء قبل الهبوط بزمن طويل ومن الطبيعي أن يكون روادنا الفضائيون أيضأ قد وقع اختيارهم على موقع للهبوط على مقربة من مصدر للمادة القابلة للانشطار إذ أن أجهزتهم تكشف بسرعة وبدقة عن سلاسل الجبال التي يمكن أن يوجد فيها اليورانيوم فالهبوط يتم وفقا لمخطط جاهز إن رواد الفضاء يشاهدون كائنات تصنع أدوات حجرية، كما يشاهدونهم وهم يمارسون قنص الطرائد وقتلها بقذفها بالرماح، وقطعان الغنم والماعز ترعى في السهوب، وصناع الأواني الفخارية البدائية وهم يصنعون الأواني المنزلية البسيطة إنه لمشهد غريب يستقبل به ملاحونا ١ ولكن ما الذي يخطر ببال الكائنات البدائية الموجودة على هذا الكوكب لدى رؤيتهم

لهذا الشيء الضخم الرهيب الذي هبط هناك، وتلك الأشكال البشرية التي بدأت تتسلق هابطة منه؟ يجب ألا ننسى أننا كنا أشباه متوحشين منذ ٨٠٠٠ سنة لذا فمن غير المستغرب أن يقوم أشباه المتوحشين بدفن رؤوسهم في الأرض لدى رؤيتهم لمثل هذا المشهد والا يتجاسروا على رفع رؤوسهم فحتى هذه اللحظة مازالوا يعبدون الشمس والقمر وهاقد حدث ما يشبه الزلزال : إن الآلهة قد هبطت من السماء من مخبا أمين يقوم ساكنو الكوكب بمراقبة روادنا الفضائيين الذين يرتدون قبعات تعلوها قضبان خوذات ذات هوائيات إنهم يصابون بالذهول عندما يتحول الليل الى نهار بفضل الأنوار الكاشفة ويصابون بالرعب عندما يرتفع الفرياء في الجو دونما أي جهد بفضل الأحزمة الصاروخية فيعاودون دفن رؤوسهم في الأرض عندما تبدأ تلك الحيوانات المجهولة الغريبة تزأر في الجو وتئز وتشخر إنها طائرات الهيلوكوبتر المتعددة الأغراض وأخيرا يفرون إلى أقرب ملجا أمين في كهوفهم لدى سماعهم دوية مرعبة قادمة من الجبال تفجير اختباري مما لا شك فيه أن ملاحينا سيبدون بالنسبة لهؤلاء البدائيين مثل آلهة جبارة يتابع رواد الفضاء عملهم الشاق يوما بعد يوم وبعد انقضاء بعض الوقت يحتمل أن يقوم وفد من الكهنة والمشتغلين بالطب المشعوذين بالاقتراب من الملاح الذي تنبئهم غريزتهم البدائية بأنه

هو الزعيم، وذلك بغرض الاتصال مع الآلهة يجلبون معهم الهدايا لتقديمها الى ضيوفهم عربون ولاء لهم من المعلوم أن رجال الفضاء في هذه الحالة، سيتعلمون لغة السكان بسرعة وذلك بالاستعانة بالكومبيوتر وبالتالي سيكون بوسعهم تقديم الشكر لهم على كياستهم وحسن ضيافتهم ومع ذلك، بالرغم من أنهم سيشرحون لهؤلاء المتوحشين وبلغتهم الخاصة أن أولئك الذين هبطوا عليهم ليسوا من الآلهة ولا من الكائنات العليا التي تستحق العبادة ، فإن كل جهودهم ستذهب سدى إن أصدقاءنا البدائيين لا يصدقون ذلك ببساطة بالنسبة لهم، إن رواد الفضاء قد جاؤوا من نجوم أخرى، ومن الواضح أن يتمتعوا بالقوة الهائلة والقدرة على اجتراح المعجزات فلابد أنهم من الآلهة، كما أنه ليس هناك من فائدة ترجي من محاولة رجال الفضاء شرح أية مساعدة قد يعرضونها إن ذلك بعيد عن فهم هؤلاء البشر الذين تعرضوا لغزو مخيف مع أنه يستحيل أن نتصور كل الأشياء التي يمكن حدوثها بدءا من يوم الهبوط ، فإن النقاط التالية قد تفيد في تكوين فكرة مفهومة عن مخطط مسبق :وإن قسمة من السكان سيتم تجنيده وتدريبه على المساعدة في البحث عن حفرة ناتجة عن انفجار وذلك من أجل الحصول على المادة الانشطارية اللازمة للعودة الى الأرض سيتم انتخاب من هو أكثر ذكاء بين السكان ليكون ملكا عليهم

وكعلامة بارزة تدل على سلطته سوف يعطى جهاز راديو ليتمكن بواسطته من الاتصال بالآلهة، ومخاطبتها إن روادنا سيحاولون تعليم الأهالي أبسط أشكال الحضارة وبعض المفاهيم الأخلاقية لكي يصبح نشوء النظام الاجتماعي ممكنأ وسيقوم الرواد بإخصاب بعض النساء اللواتي يتم اختيارهن خصيصا لهذه الغاية وهكذا ينشأ عرق جديد يكون قد اجتاز مرحلة من مراحل التطور الطبيعي إننا نعرف من نشوئنا كم من الوقت سيمضي قبل أن يصبح هذا العرق الجديد «خبراء فضاء»، مما يترتب عليه أن الملاحين الفضائيين، وقبل البدء برحلة العودة الى الأرض، سيتركون وراءهم علامات مرئية وواضحة لا يقدر على فهمها سوى مجتمع على درجة عالية من التطور التكنولوجي القائم على الرياضيات وبعد انقضاء فترة طويلة من الزمن وإن محاولة تحذير أولئك الواقعين تحت حمايتنا من الأخطار التي تنتظرهم لم يكن لها سوى الحظ القليل من النجاح فحتى لو أظهرنا لهم أكثر الأفلام إثارة للرعب عن الحروب الأرضية والانفجارات الذرية، لن يمنع ذلك تلك الكائنات الحية الموجودة على الكوكب المقصود من ارتكاب نفس الأخطاء مثلما لا يوقف هذا التحذير كل البشرية الواعية عن اللعب بلهيب الحرب المشتعل وبينما تعاود مركبتنا الفضائية اختفاءها في ضباب الكون فإن أصدقاءنا سوف

يتحدثون عن حدوث المعجزة؛ إذ أن الآلهة كانت هنالك إنهم سوف يترجمونها الى لغتهم البسيطة وسيحولونها الى حكاية من حكايات البطولة التي يروونها لأبنائهم وبناتهم، وسيحولون الهدايا والأدوات وكل ما خلفه رواد الفضاء وراءهم الى اثار مقدسة إذا تمكن أصدقاؤنا من الكتابة فقد يدونون ما حدث لهم بوصفه : غريبة، شاذة، وعجيبة ثم ان نصوصهم ستروي ، ولوحاتهم ستبين أن آلهة بثياب ذهبية قد كانت هناك في سفينة طائرة هبطت محدثة دويأهائلا وسيكتبون عن المركبات التي كانت الآلهة تقودها فوق البر والبحر، وعن الأسلحة الرهيبة التي كانت تشبه البرق وسيتذكرون أن الآلهة قد وعدتهم بالعودة إنهم سينحتون ويحفرون في اللوحات الصخرية ويدونون ما شاهدوه عمالقة ليس لهم شكل معروف، يرتدون خوذات وقضبانا على رؤوسهم، يحملون صناديق فوق مدورهم وكرات تجلس عليها كائنات غير محددة المعالم وتمتطيها في الجو، وهراوات ينطلق منها شعاع كشعاع الشمس، وأشكال غريبة تشبه الحشرات العملاقة لم تكن سوى عريات من نوع ما وإن الرسوم الناتجة عن زيارة مركبتنا الفضائية ستكون ذات خيال لا حدود له سنرى لاحقة ما هي الآثار التي حفرتها الآلهة التي زارت الأرض خلال تاريخنا المغرق في القدم على ألواح الماضي من السهل تماما أن نرسم مخططا للتطورات

اللاحقة الجارية على الكوكب الذي زارته مركبتا الفضائية فقد تعلم سكان هذا الكوكب الشيء الكثير من مراقبتهم للآلهة» خلسة، وسيعلن المكان الذي كانت تقف عليه المركبة الفضائية أرضا مقدسة، مكانا للحج، حيث سيتم فيه مديح الأفعال البطولية للالهة على شكل غناء وسوف تبنى الأهرامات والمعابد على هذا المكان، حسب القوانين الفلكية طبعا وسوف يتكاثر الناس وستندلع الحروب التي ستدمر مكان الآلهة ومن ثم ستأتي أجيال وتعيد اكتشاف الأماكن المقدسة والتنقيب عنها وتحاول تفسير الإشارات هذه هي المرحلة التي وصلنا اليها والآن صار بمقدورنا انزال البشر على سطح القمر، وصار بمقدورنا أن نفتح عقولنا على رحلات الفضاء إننا نعرف تأثير الوصول المفاجئ لسفينة كبيرة عابرة للمحيطات على شعب بدائي - وليكن في جزر بحر الجنوب مثلا ونعرف الأثر التدميري الذي تركه رجل مثل كورتيس ، ممن ينتمون الى حضارة أخرى، على أميركا الجنوبية لذا فبإمكاننا ، إذا، أن نتصور ولو بشكل مبهم الصدمة الخارقة التي خلفها وصول مركبة فضائية في عصور ما قبل التاريخ والآن ، لابد لنا من إلقاء نظرة أخرى - في خضم علامات الاستفهام - على عدد كبير من الألغاز المستعصية على الحل هل تفيدنا في

ذلك مخلفات رواد الفضاء من ما قبل التاريخ ؟ هل تقودنا الى ماضينا ، وهل لها علاقة بخططنا للمستقبل ؟

الفصل الثالث
عالم الأسرار المستعصية

لقد تم تجميع صورة ماضينا التاريخي من المعرفة غير المباشرة فاستخدمت في ذلك الحفريات الأثرية، والنصوص القديمة، ورسوم الكهوف، والأساطير وما شابه ذلك، لتشكيل هذه المعرفة وأمكن الحصول من كل هذه المواد على فسيفساء مؤثرة وشيقة، لكنها كانت نتاجا لنمط مسبق التصور من التفكير كان قابلا على الدوام لاستيعاب أجزاء أخرى في داخله بيد أن هذا النمط من التفكير كان شفافاً أكثر مما ينبغي بالرغم من تماسكه الأسمنتي ولابد أن حدثا ما قد حدث بنفس الطريقة بهذه الطريقة وليس بغيرها انظروا وشاهدوا - اذا كان ذلك ما يريده العلماء حقا - إن ذلك قد حدث بتلك الطريقة هكذا كتب لنا ولكن، في الواقع، يجب أن نرتاب في كل نمط معمول به من أنماط التفكير أو فرضيات العمل، لأن الأفكار المهيمنة اذا لم يتم التخلي عنها في سياق المسألة، فإن البحث سيصل الى طريق مسدود لذا فإن ماضينا التاريخي يعتبر صحيحة من وجهة نظر نسبية فقط واذا تكشفت لنا مظاهر جديدة منه، فإن افتراض العمل القديم، مهما يكن مألوفة، لابد من استبداله بافتراض جديد يبدو أنه قد آن الأوان لتقديم افتراض عمل جديد ووضعه في خضم أبحاثنا حول الماضي

إن معرفتنا الجديدة حول النظام الشمسي والكون، حول الكون الكبير والكون الصغير والتقدم الهائل في مجالات التكنولوجيا والطب، وفي البيولوجيا والجيولوجيا، وحول بداية رحلات الفضاء، كل ذلك وغيره قد قلب مفهومنا عن العالم قلبة تامة في أقل من خمسين عاما لقد بتنا نعلم اليوم أنه أصبح بالإمكان صنع بذلات فضاء تتحمل أقصى درجات الحرارة والبرودة وصرنا نعرف اليوم أن رحلة الفضاء لم تعد فكرة طوباوية وتألفنا تماما مع معجزة التلفزيون الملون كما صار بمقدورنا قياس سرعة الضوء وحساب النتائج المترتبة على نظرية النسبية بدأت صورة العالم الجامدة في أذهاننا تذوب وتتحرك إن فرضيات العمل الجديدة صارت بحاجة الى قرائن جديدة فعلى سبيل المثال، لن تكون الأركيولوجيا علم الآثار في المستقبل ببساطة مجرد مسألة تنقيب عن الآثار إذ لم يعد مجرد جمع الاثار المكتشفة وتصنيفها كافية فلابد من الاستعانة بفروع أخرى من فروع العلم الاستفادة منها اذا كنا بحاجة الى رسم صورة موثوقة لماضينا إذا، لندخل العالم الجديد، عالم الحقائق اللامتوقعة، بذهن منفتح واندفاع مفعم بالفضول لنحاول تناول التراث الذي تركته لنا الآلهة في بداية القرن الثامن عشر عثر في قصر توبكاي على خرائط قديمة تعود لضابط في البحرية التركية هو الأدميرال بيري ريس يضم متحف برلين الحكومي أطلسين جغرافيين

يحتويان على نسخ لخرائط دقيقة عن البحر الأبيض المتوسط والمنطقة المجاورة للبحر الميت تعود أيضا الى الأدميرال بيري ريس وقد سلمت هذه الخرائط الى رسام الخرائط الأميركي ارلنغتون ماليري لكي يقوم بفحصها فأثبت ماليري حقيقة هامة وهي أن المعطيات الجغرافية قائمة على أرض الواقع ولكنها ليست مرسومة في أماكنها الصحيحة؛ مما دعاه الى التماس العون من السيد والترز، رسام الخرائط في المكتب الهيدروغرافي التابع للبحرية الأميركية قام ماليري ووالترز بانشاء شبكة إحداثيات ونقلا الخرائط الى مجسم كروي حديث فتوصلا الى اكتشاف مثير وهو أن الخرائط كانت دقيقة بشكل مطلق وشامل، وليس فقط من النواحي المتعلقة بالبحر المتوسط والبحر الميت لقد كانت سواحل شمال وجنوب أمريكا وحتى خطوط الكفاف المناسيب الخاصة بالقارة القطبية الجنوبية كلها مرسومة بدقة على خرائط، بيري ريس كما أن الخرائط لم تكن تظهر المعالم الخارجية للقارات فحسب، بل كانت تكشف عن تضاريس المعالم الداخلية أيضا فسلاسل الجبال والقمم والجزر والأنهار والنجود قد تم رسمها بدقة متناهية في عام ١٩٥٧، العام الدولي لفيزياء الأرض، سلمت الخرائط الى الأب الجزويتي لاينهام الذي يشغل منصب مدير مرصد وستون ويقوم بمهمة رسام خرائط في البحرية الأميركية وبعد اختبارات دقيقة لم

يستطع الأب لابنهام إلا أن يعترف بأن الخرائط تتصف بدقة خارقة حتى عندما يتعلق الأمر بالمناطق التي تم اكتشافها بصعوبة في أيامنا والأهم من ذلك هو أن السلاسل الجبلية التي تظهر بشكل واضح تماما على خرائط ريس لم تكن قد اكتشفت قبل عام ١٩٥٢ لقد بقيت هذه السلاسل مغطاة بالجليد على مدى مئات السنوات، أما الخرائط المرسومة في أيامنا فقد تم رسمها بالاستعانة بجهاز الصوت والصدى إن آخر الدراسات التي قام بها البروفسور تشارلز هابغود وعالم الرياضيات ريتشارد ستراشان تمدنا بمزيد من المعلومات المتفرقة فقد تبين لدى مقارنة الصور الحديثة للكرة الأرضية الملتقطة من الأقمار الصناعية أن أصل خرائط بيري ريس لابد أن يكون صورة تم التقاطها من ارتفاع كبير جدا فكيف نفسر ذلك ؟ تحلق مركبة فضائية على ارتفاعات شاهقة فوق مدينة القاهرة وتوجه كاميراتها نحو الأسفل مباشرة وبعد تحميض واظهار الفيلم تبدو النا الصورة التالية بنطبع كل ما يقع حول القاهرة ضمن دائرة نصف قطرها ٥٠٠٠ ميل لأنه يقع تحت مجال العدسة مباشرة غير أن البلدان والقارات يزداد تشوهها كلما ابتعدنا بأنظارنا عن مركز الصورة لماذا يحدث هذا؟ نظرا لشكل الأرض الكروي تتقلص معالم القارة كلما ابتعدنا عن المركز فمثلا، تبدو أمريكا الجنوبية مشوهة طولانية على نحو يثير الاستغراب، كما تظهر على

خرائط بيري ريس، وهكذا تبدو تماما من خلال الصور الفوتوغرافية الملتقطة من المسابر القمرية الأميركية ثمة سؤال أو سؤالان يمكن الإجابة عنهما بسرعة فمما لا خلاف حوله أن أجدادنا لم يرسموا هذه الخرائط، مع أنه ليس هناك من شك في أن الخرائط قد أنجزت بأحدث الوسائل التقنية من الجو كيف لنا أن نفسر ذلك؟ هل يجب علينا أن نقتع بالأسطورة القائلة بأن إلها ما قد أعطى هذه الوسائل لكاهن جليل؟ أم هل يجب علينا أن نتجاهل بكل بساطة وأن نسخر من المعجزة» لأن الخرائط لا تنطبق على صورة العالم في أذهاننا؟ أم هل يجب علينا أن نهيج وكر الزنابير وندعي أن هذا الرسم الخريطي لكوكبنا الأرضي قد تم انجازه من طائرة معلقة على ارتفاعات شاهقة أو من على مركبة فضائية من المسلم به أن خرائط الأدميرال التركي ليست أصلية إنها نسخ عن نسخ النسخ وحتى لو كانت هذه الخرائط تعود الى تاريخ العثور عليها في القرن الثامن عشر فإن هذه الحقائق تبقى لغزا مستعصية واية كان الذي أنجزها فلابد أنه كان قادرة على التحليق في الجو والتقاط الصور الفوتوغرافية على مقربة من البحر في الامتدادات البيروفية لجبال الأندز تقع مدينة نازكا القديمة وهناك يوجد وادي بالبا الذي يضم شريطا من الأرض المستوية يبلغ طوله ٣٧ ميلا وعرضه ميلا واحدة تتناثر عليه نتف صخرية تشبه قطع الحديد الصدئة

ويطلق السكان المحليون على هذه المنطقة اسم بامبا على الرغم من عدم وجود أي نوع من الحياة النباتية فيها واذا قدر لك أن تحلق فوق هذه الأرض - أقصد سهل نازكا. فسوف تكتشف وجود خطوط هائلة مرسومة هندسية، يمتد بعضها موازية للبعض الآخر، في حين تكون الخطوط الأخرى متقاطعة و محاطة بمساحات على شكل شبه منحرف يقول علماء الآثار أنها طرق الإنكا يا لها من فكرة مستحيلة؛ إذ ما فائدة الطرق التي تمتد بشكل متواز بالنسبة للإنكا؟ وكيف حصل أنها قد رسمت في سهل ثم تنقطع فجأة ؟ من الطبيعي أن يتم العثور أيضا على فخار وسيراميك نازكا النموذجيين ولكن من المؤكد أنه من السذاجة إرجاع الخطوط المرتبة هندسية الى حضارة الإنكا لهذا السبب وحده لم تجر أية حفريات جادة في هذه المنطقة قبل عام ١٩٥٢، ولا يوجد تسلسل تاريخي لكل الأشياء التي تم العثور عليها واذا تم قياس الخطوط والأشكال الهندسية في الآونة الأخيرة فإن النتائج تؤكد بشكل جلي الفرضية القائلة بأن الخطوط قد تم تنفيذها وفقا لمخططات فلكية يشك البروفسور آلدن ماسون، الاختصاصي في الآثار البيروفية بوجود اشارات ذات دلالة دينية في تراصفات الخطوط واستقاماتها، وربما بوجود تقويم زمني روزنامة أيضا لقد كان الانطباع السائد الذي تركه سهل نازكا البالغ طوله ٣٧ ميلا لدى رؤيته من الجو هو

أنه عبارة عن مهبط طائرات ما الذي أوحى إلي بهذه الفكرة؟ لا يمكن إجراء البحث العلمي قبل العثور على الشيء الذي يراد إخضاعه للبحث والاستقصاء دوما إن يتم العثور عليه حتى يصقل ويشذب الى أن يصبح حجرة ينطبق تماما ريشكل عجيب على الفسيفساء الموجودة إن الأركيولوجيا التقليدية لا تعترف بإمكانية امتلاك الشعوب ما قبل الإنكا لتقنية متكاملة في المساحة كما أن النظرية القائلة بإمكانية وجود الطائرة في الحضارات القائمة هي محض هراء فارغ بالنسبة لها في هذه الحالة، ما هو الغرض من وجود الخطوط لدى الإنكا تبعا لطريقتي في التفكير، يحتمل أن تكون الخطوط قد رسمت بهذا المقياس الهائل بنقلها عن نموذج مسبق التصميم واستعمال جملة احداثيات أو ربما قد تم إظهارها حسب تعليمات واردة من طائرة ومع ذلك، ليس بالإمكان أن نجزم فيما اذا كان سهل نازكة مطارة أم لا إذا كان الحديد مستعملا لهذه الغاية فلن يتم العثور عليه بالتأكيد لأن معظم المعادن تتأكل بفعل الصدأ خلال سنوات قليلة، لكن الحجر لا يصدأ ولا بتاكل ما هو وجه المغالطة في الفكرة القائلة بأن الخطوط قد تم رسمها لكي تقول للآلهة : اهبطي هنا فكل شيء قد تم تجهيزه حسب أوامرك أنت؟ ريما لم يكن لدى بقائي هذه الأشكال الهندسية أية فكرة عما كانوا يفعلونه ولكن ربما كانوا يعرفون تماما ما الذي كانت

تحتاجه الآلهة لكي تهبط على الأرض تشاهد على سفوح الجبال في أجزاء كثيرة من البيرو رسوم هائلة كانت تستخدم، بدون شك، كإشارات من أجل كائن سابح في الجو هل ثمة أغراض أخرى يمكن أن تخدمها هذه الرسوم؟ يعتبر الرسم الأكثر غرابة ذلك الرسم المحفور على الجدار الشاهق الأحمر من النتوءات الصخرية في خليج بيسكو فإذا وصلت اليه عن طريق البحر تجد أمامك شكلا يبلغ ارتفاعه حوالي ٨٢٠ قدما من مسافة تزيد عن ١٢ ميلا وإذا أردت التلاعب بعبارة يبدو مثل فأول ما يتبادر إلى ذهنك هو أن هذه المنحوتة تبدو مثل رمح هائل ثلاثي الشعب أو مثل شمعدان ضخم مثلث الأفرع كما تم العثور على حبل طويل على العمود المركزي لهذه الشارة الحجرية، فهل كان يستخدم في الماضي بمثابة بندول رقاص ساعة؟اذا كما نتوخى النزاهة فيجب أن نعترف بأننا نتخبط في الظلام عندما نحاول تفسير ذلك اذ لا يمكن ادخاله في المعتقدات القائمة حاليا على نحو مفيد، وهذا لا يعني القول بأنه قد لا تكون هناك ثمة حيلة استطاع بها الباحثون استحضار هذه الظاهرة الى الفسيفساء الهائلة من الفكر الاركيولوجي المعمول به ولكن ما الذي يمكن أن يكون قد حث شعوب ما قبل الإنكا على انشاء هذه الخطوط الخيالية ومنحدرات الهبوط في سهل

نازكا؟ أي جنون ذاك الذي دفعهم الى ابتكار الشارات الحجرية التي يبلغ ارتفاعها ٨٢٠ قدما على الجروف الصخرية الحمراء جنوبي ليما؟

إن هذه الأشغال تحتاج الى عشرات السنين لانجازها بدون الآلات والتجهيزات الحديثة، وبالتالي فإن فاعليتها ستكون عديمة الفائدة اذا كان الناتج النهائي لجهودهم ليس القصد منه أن تكون اشارات الكائنات تقترب اليهم من ارتفاعات هائلة إن السؤال المحير الذي لا يزال ينتظر جواباً هو :لماذا فعلوا كل ذلك اذا لم تكن عندهم أية فكرة عن الوجود الفعلي لكائنات طائرة؟ إن تعريف الموجودات الأثرية لم يعد حكرا على الاركيولوجيا وحدها وبالتالي فإن انعقاد مجلس للعلماء من مختلف الاختصاصات سيجعلنا بالتأكيد نقترب من حل اللغز كما أن الحوار وتبادل الآراء سيعملان تحديدا على إيصالنا الى تبصرات وقادة وتكمن خطورة عدم توصل البحث العلمي الى نتيجة محددة في حقيقة أن العلماء لا يأخذون هذه المسائل على محمل الجد ويهزاون بها ماذا - رواد فضاء في غياهب الماضي؟ سؤال غير مسموح به للعلماء الأكاديميين ولابد لكل من يسأل سؤالا كهذا من مراجعة طبيب نفساني ولكن الأسئلة باقية - والحمد لله - وستبقى تحوم في الجو إلى أن تلقى جوابا وثمة الكثير من هذه الأسئلة غير المقبولة فعلى سبيل المثال، ما الذي يقوله الناس اذا تم

العثور على تقويم روزنامة يبين أوقات الاعتدالين والفصول ومواضع القمر في كل ساعة وحركات القمر مع الأخذ بعين الاعتبار دوران الأرض؟ هذا ليس مجرد سؤال افتراضي اذ أن مثل هذا التقويم موجود، وقد تم العثور عليه في المستنقع الجاف في نياهواناكو إنه اكتشاف محير فهو يقدم حقائق لا مجال لدحضها ويبرهن - إن كانت ثقتنا بأنفسنا تسمح بذلك - على أن الكائنات البشرية التي أنتجت واخترعت واستعملت التقويم كانت تمتلك حضارة أرقى من حضارتنا ثمة اكتشاف خيالي آخر هو الصنم الكبير هذه الكتلة المنفردة من الحجر الرملي الأحمر يبلغ طولها ٢٦ قدما ووزنها ٢٠ طنا وقد تم العثور عليها في المعبد القديم وها نحن نجد، مرة أخرى، تناقض بين الجودة الفائقة والدقة اللتين تمتاز بهما مئات الرموز المرسومة على الصنم وبين التقنية البدائية المستخدمة في تشييد المبنى الذي يضمها في الواقع، انه يدعى المعبد القديم بسبب تقنيته البدائية لقد قدم هس بيلامي و ب الان تفسير معقولا للرموز وذلك في كتابهما الذي يحمل عنوان / صنم تياهواناكو العظيم / فهما بخلصان الى نتيجة مفادها أن الرموز تختزن كما هائلا من المعرفة الفلكية، وهي في حقيقة الأمر تستند الى كروية الأرض كما يستنتجان أن هذا السجل من الرموز لا يطابق تمام نظرية التوابع التي طلع بها هوريفر عام ١٩٢٧

قبل اكتشاف الصنم بخمس سنوات تفترض هذه النظرية أن تابعة ما كان مأسورة بفعل جاذبية الأرض وبينما كان مندفعة نحوها كانت تتباطأ سرعة دوران الأرض وفي النهاية تحطم هذا التابع وحل محله القمر إن الرموز الموجودة على الصنم تسجل بشكل دقيق تلك الظاهرة الفلكية التي تتماشى مع النظرية في الوقت الذي كان التابع يقوم ب ٦٢٥ دورة حول الأرض في سنة يبلغ عدد أيامها ٢٨٨ يوما لقد وجدا نفسيهما مضطرين للاستنتاج أن الصنم يسجل حالة السماء منذ ٢٧ الف سنة اذ يكتبان : وعلى العموم، إن نقوش الصنم تعطي انطباعة بأنه إنما تم ابتكاره أيضاً ليكون سجلا لأجيال المستقبل هنا نجد بالفعل أنه ثمة شيئ من العصور القديمة التليدة يحتاج الى شرح وتفسير يتعدى اعتباره «إلها قديماه فإذا كان من الممكن اثبات هذا التفسير فيجب أن نتساءل عما اذا كانت المعارف الفلكية قد تراكمت فعلا على أيدي أناس لايزال أمامهم الكثير ليتعلموه عن البناء أم انها قد جاءت من مصادر خارج أرضية ؟ في أي من الحالتين، إن وجود مثل هذا الكم المعقد من المعرفة التي يبرهن على وجودها كل من المعبد والتقويم إنما يعتبر شيئاً محيرا -إن مدينة تياهواناكو تعج بالأسرار فهي تقبع على ارتفاع يزيد عن ١٢٠٠٠ قدم إضافة لكونها على بعد أميال من أقرب موقع آخر فمن جهة كوزكو في بيرو لا يمكنك بلوغ المدينة ومواقع

الحفريات إلا بعد سفر عدة أيام بالقطار أو بالزورق إن هذا النجد يبدو كأنه امتداد لكوكب مجهول يعتبر العمل اليدوي عذابة حقيقية للغرباء عن هذا النجد فالضغط الجوي ينخفض الى نصف قيمته عند مستوى البحر، وبالتالي يكون محتوى الهواء من الأوكسجين قليلا ومع ذلك، فقد كانت هناك مدينة قائمة على هذا النجد لا توجد معلومات موثوقة حول تياهواناكو ربما كان علينا أن نفرح لأنه لا يمكن الوصول في هذه الحالة الى أجوبة مقبولة استنادا الى التعاليم الأورثوذكسية الموروثة حيث تخيم على الآثار التي لا يعرف عمرها بالضبط ضبابة الماضي والجهل والغرابة إن كتل الأحجار الرملية تزن ١٠٠ طن تعلوها كتل أخرى تزن 60 طن خاصة بالجدران، السطوح ملساء ذات حواف مائلة مشنفرة بالغة الدقة متصلة بأحجار مربعة هائلة مربوطة الى بعضها بكلابات نحاسية اضافة الى أن كافة الأعمال الحجرية قد تم تنفيذها بمهارة فائقة

ثمة ثقوب يبلغ طولها 8 أقدام وجدت في كتل تزن ١٠ طن لم يعرف الغرض منها ولا تقدم الألواح الحجرية المتأكلة التي يبلغ طولها 16 ,

قدما والمنحوتة من قطعة واحدة مونوليث أي حل لذاك اللغز الذي تخفيه تياهواناكو تصادف الأقنية المائية الحجرية التي يبلغ طولها 6 أقدام وعرضها ١,٥ قدم مهشمة على الأرض كالدمى، ويبدو واضحا أن السبب

في هذا التهشيم يعود الى حدوث كارثة شاملة ان هذه الآثار تصدمنا بالمهارة الدقيقة التي نفذت بها ألم يكن لأسلافنا في تياهواناكو ما يفعلونه أفضل من قضاء السنوات وهم ينحتون أقنية المياه - بدون أدوات بمثل هذه الدقة، بحيث أن أقنيتنا الاسمنتية الحديثة تبدو أعمالا خرقاء بالمقارنة بها؟ في احدى الساحات التي تم ترميمها مؤخرة، ثمة تشكيلة مختلطة من الرؤوس الحجرية تبدو عند النظر اليها عن كثب وكأنها تضم أكثر الأعراق البشرية تنوعا فبعض هذه الرؤوس ذات شفاه ضيقة أو منتفخة، أو أنوف طويلة أو معقوفة، أو ذات أذان رقيقة أو سميكة، وبعضها ذات قسمات لطيفة والبعض الآخر ذات قسمات حادة وليس هذا فحسب، بل إن بعض الرؤوس ترتدي خوذات غريبة فهل إن كل هذه الأشكال اللامألوفة تحاول نقل رسالة ليس بمقدورنا فهمها ولن نفهمها طالما بقينا متمسكين بعنادنا وأحكامنا المسبقة إن إحدى العجائب الاركيولوجية الكبرى في أمريكا الجنوبية هي بوابة الشمس في تياهواناكو، تلك المنحوتة الهائلة التي يبلغ ارتفاعها حوالي 10 أقدام وعرضها 16 5 , قدما وقد تم نحتها من كتلة حجرية واحدة يقدر وزن هذه القطعة الأثرية بأكثر من 10 أطنان وهناك ثمانية وأربعون تمثالا بشرية تشكل مع بعضها مربعا على ثلاثة أنساق تحيط بكائن يمثل إلها طائرة ما

الذي تقوله الأسطورة حول مدينة تياهواناكو العجيبة؟ إنها تحكي عن مركبة فضائية ذهبية قدمت من النجوم وبداخلها امرأة تدعى اوريانا لكي تقوم بمهمة محددة وهي أن تصبح الأم الكبرى للأرض لم يكن لأوريانا سوى أربع أصابع تتصل فيما بينها بغشاء جلدي ولقد أنجبت اوريانا، الأم الكبرى، سبعين مولودة أرضية ثم عادت الى النجوم

في الواقع، لا نجد رسومة صخرية لكائنات من ذوات الأصابع الأربع في تياهواناكو اذ لا يمكن تحديد العصر الذي تنتمي اليه فلم يسبق لأي انسان من أي عصر من العصور المعروفة بالنسبة لنا أن شاهد تياهواناكو قبل أن تصبح خرابة أي سر تخفيه هذه المدينة؟ وأية رسالة من عوالم أخرى تنتظر من يحل رموزها القائمة على ذاك النجد البوليفي؟ لا يوجد أي تفسير معقول لبداية أو نهاية هذه الحضارة بالطبع، إن هذا الشيء لا يمنع بعض علماء الآثار من التقدم بأطروحة جريئة تنم عن ثقة بالنفس تقول بأن موقع هذه الآثار انما يعود الى ثلاثة آلاف عام مضت إنهم يتبنون هذا التاريخ استنادا الى وجود زوج من التماثيل الفخارية الصغيرة المضحكة التي قد لا يوجد أي شيء يجمعها مع العصر المونوليثي إن الباحثين هونون الأمور على أنفسهم كثيرة فهم يلصقون زوجا من الكسرات الفخارية الى بعضهما، ويبحثون عن واحدة أو اثنتين من الحضارات المتجاورة، وقد يلصقون

لافتة على القطعة الأثرية المرممة، وهلموا بسرعة وهكذا نجد مرة أخرى كيف يتم ادخال كل شيء في نمط التفكير الدارج بشكل يثير الاستغراب من الواضح أن هذا الأسلوب هو أكثر بساطة بكثير من المخاطرة بقبول فكرة وجود براعة تقنية مذهلة، أو فكرة الاعتقاد بوجود رواد الفضاء في الماضي السحيق وهذا من شأنه أن يعقد الأمور دونما وجود ضرورة لذلك ينبغي علينا ألا ننسي ساكسا يهوامان و لا أقصد أن أشير هنا إلى التحصينات الدفاعية الخارقة لدى شعب الإنكا التي تقع على بعد أقدام قليلة فوق كوزكو حالية ولا الى الكتل المونوليثية التي يبلغ وزنها أكثر من ١٠٠ طن، ولا الى الجدران المصطبية التي يبلغ ارتفاعها أكثر من ١٠٠٠ قدم وعرضها 54 قدمة التي يقف السواح أمامها ويلتقطون الصور التذكارية لها إنما أشير الى الساكسا يهوامان المجهول الذي يقع على بعد ميل واحد أو أقل من قلعة الإنكا المجهولة إن مخيلتنا عاجزة عن تصور الموارد التكنولوجية التي استخدمها أجدادنا الأوائل لاستخراج صخرة مونوليثية يبلغ وزنها أكثر من 100 طن من مقلع، ومن ثم نقلها الى نقطة بعيدة والقيام بنحتها هناك ولكن عندما نواجه بكتلة صخرية يقدر وزنها با ٠٠٠ ٢٠ طن فإن مخيلتا المصابة باللامبالاة بفعل الانجازات التقنية للعصر الحديث تصاب بأقصى درجات الصدمة في طريق العودة من تحصينات

ساكسا يهوامان، وفي حفرة تقع على سفح الجبل على بعد مئات اليادرات يمر الزائر بجسم هائل الكبر إنه عبارة عن كتلة حجرية مفردة يبلغ حجمها حجم منزل مؤلف من أربعة طوابق وقد سويت هذه الكتلة بطريقة بالغة الإتقان وتخلو من أي عيب من العيوب، فهي مجهزة بالأدراج والسلالم ومزينة بالخطوط الحلزونية والثقوب أليس من المؤكد أن تشكيل هذه الكتلة الحجرية التي لا مثيل لها لم يكن نوعا من قتل الفراغ لدى الإنكا؟ وأليس من المؤكد أنها ربما كانت لخدمة غرض غير معروف حتى الآن؟ وامعانا في تعقيد اللغز وجعله عصية على الحل فقد جعلت كل هذه الكتلة الهائلة مقلوبة رأسا على عقب لذا نجد أن الدرج يبدا هابطأ من السطح، والثقوب تأخذ اتجاهات مختلفة مثل تفريضات القنبلة اليدوية، والمنخفضات الغريبة التي تأخذ شكل الكراسي تبدو معلقة في الهواء من يمكنه أن يتخيل أن يدي الانسان وقوة تحمله قد استخرجت هذه الكتلة ونقلتها وشذبتها؟ أية قوة تلك التي قلبتها رأسا على عقب؟ وأية قوة بشرية جبارة قد استخدمت لهذه الغاية ؟ ولأي هدف ؟ إن الزائر وهو في ذروة ذهوله من هذه الكتلة الحجرية الهائلة يصادف على بعد 100 ياردة فقط بلورات صخرية من النوع الذي لا يمكن صنعه الا بصهر الحجرفي درجة حرارة مرتفعة جدا ويصدم الزائر المدهوش بحقيقة أن هذه الصخرة قد صقلتها الأنهار الجليدية

ولكن هذا التفسير يدعو للسخرية فالنهر الجليدي كأية كتلة جارية يفترض منطقية أن يكون جريانه في اتجاه واحد وهذه الصفة المميزة للمادة من غير المحتمل أن تكون قد تغيرت تماما في وقت حدوث التبلورات وفي كل الأحوال، من الصعب الافتراض بأن النهر الجليدي كان يجري في ستة اتجاهات مختلفة فوق ساحة مقدارها ١٨٠٠٠ ياردة مربعة إن الساكسايهوامان والتياهواناكو تخفيان عدد هائلا من الغاز ما قبل التاريخ التي تحوم حولها التفسيرات الظاهرية الغير مقنعة والأهم من ذلك هو أن التبلورات الرملية تصادف أيضا في صحراء غوبي وفي جوار المواقع الأثرية العراقية القديمة فمن بمقدوره أن يشرح لنا لماذا تشبه هذه التبلورات الرملية تلك التبلورات الناجمة عن التفجيرات الذرية في صحراء نيفادا؟ متى سيتم انجاز شيء ما حاسم من شأنه أن يعطي اجابة مقنعة على أحاجي ما قبل التاريخ في تياهواناكو توجد تلال اصطناعية بالغة الضخامة تتميز سطوحها، بالاستواء المطلق لمساحة تزيد عن ٦٧٨٦ باردة مربعة ويبدو من المحتمل جدا أن تكون الأبنية مخفية تحتها وحتى الآن لم يتم حفر أي خندق عبر سلسلة التلال ولم تستخدم أية مجرفة لحل هذا اللغز من المسلم به أن النقود كانت شيئاً نادرة فحتى الآن يلاحظ المسافر وجود الجند والموظفين الذين يفتقرون الى عمل مفيد يؤدونه فما الخطأ في السماح لثلة

من الجنود بالقيام بأعمال التنقيب تحت اشراف خبيرة إن المال متوفر من أجل الكثير من الأشياء الأخرى في هذا العالم فإجراء الأبعاث من أجل المستقبل ذو أهمية بالغة ولطالما بقي ماضينا مخفية سيبقى المدخل الى المستقبل مبهمة هل يمكن للماضي أن يساعدنا في الوصول الى حلول تقنية لن تكون مقبولة لأول وهلة لأنه تم ايجادها في العصور القديمة؟ اذا كانت الحاجة الملحة لاكتشاف ماضينا ليست حافزا كافية لوضع الأبحاث الحديثة المكثفة موضع التنفيذ، فقد يكون استخدام المسطرة الحاسبة مفيدا على أي حال، لم يكلف أي عالم حتى الآن باستخدام أحدث الأجهزة للكشف عن الإشعاع في تياهواناكو أو ساكسايهوامان أو سدومه الأسطورية أو في صحراء غوبي إن النصوص والألواح المسمارية المكتشفة من أور، وهي أقدم الكتب التي دونها الجنس البشري، تخبرنا كلها بلا استشاء عن «آلهة» كانوا يركبون سفنا في السماء وعن «آلهة» قدموا من النجوم وبحوزتهم أسلحة رهيبة ثم عادوا الى النجوم فلماذا لا نبحث عنهم، أي عن أولئك «الآلهة» القدماء؟ إن علماء الفلك الراديوي يرسلون الإشارات الى الكون بغية الاتصال مع المخلوقات الذكية المجهولة فلماذا لا نبحث أولا، وفي الوقت ذاته، عن آثار للعقول الذكية المجهولة على كوكبنا الأرضي الأقرب الينا؟ لأننا تتلمس طريقنا مغمضي العيون في غرفة مظلمة فإن الآثار

موجودة هنا ليراها الجميع لقد بدأ السومريون قبل ٢٠٠٠ عاما من عصرنا هذا بتدوين التاريخ المجيد لشعبهم ومازلنا الى اليوم نجهل من أين كان ينحدر هذا الشعب، ولكننا نعرف أن السومريين قد جلبوا معهم حضارة راقية ومتقدمة فرضوها على الساميين الذين كانوا لايزالون في حالة شبه همجية كما نعلم أنهم كانوا يقصدون آلهتهم على قمم الجبال وحتى لو لم تكن هذه الجبال موجودة في المناطق التي استوطنوها فقد كانوا يقيمون جبالا، اصطناعية على السهول لقد كان علم الفلك لديهم على درجة عالية من التطور الذي لا يصدق إن مراصدهم قد أنجزت حسابات عن دوران القمر لا تختلف عن الحسابات التي أجريت في العصر الحالي بأكثر من 4 , ثانية و سدوم : مدينة في فلسطين القديمة ورد ذكرها في التوراة تقول الأسطورة ان الله قد دمرها لانغماسها في الرذيلة والفساد وبالاضافة الى ملحمة لجامش الخرافية والتي سأتطرق الى الحديث عنها بتفصيل أكثر لاحقا، فقد لفوا لنا شيئا على درجة كبيرة من الأهمية على هضبة كويوندجيك المعروفة سابقا باسم نينوى تم العثور على حساب رقمي ذي نتيجة نهائية هو كما تمكنا من تدوينه/ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٩٠٩٠٠٢٠٠ / أي عبارة عن عدد مؤلف من خمسة عشر رقما إن أسلاف حضارتنا الأوروبية، الاغريق، الذين أخذنا معظم اقتباساتنا عنهم ودرسناهم بشكل موسع، لم

يتجاوزوا العدد / ١٠٠٠٠٠ /خلال أكثر فترات حضارتهم تألقة اذ أن أي شيء يفوق هذا العدد كانوا يصفونه ببساطة بكلمة ولانهائي،تدل الكتابات المسمارية القديمة على أن السومريين كانوا يتمتعون بأعمار طويلة بشكل خارق فالملوك العشرة الأصلاء حكموا ولفترات تبلغ في مجموعها 456 000عام، كما أن الملوك الثلاثة والعشرين الذين وقع على عاتقهم عبء إعادة الإعمار بعد حدوث الطوفان قد نجحوا في الاحتفاظ بزمام السلطة لفترة تبلغ في مجموعها ٢٦٥١٠ سنة و ٣ أشهر و ٣ , 5 أيام ان فترات السنين التي لا يمكن أن يستوعبها أسلوبنا في التفكير مع أن كل أسماء الحكام موجودة ضمن قوائم طويلة، هذه الفترات قد دونت بشكل بارع على الأختام والنقود ما الذي كان سيحدث لو تجرأنا على إزالة الغشاوة عن أعيننا ونظرنا الى الأشياء القديمة بأعين جديدة - بأعين الحاضر؟ لنفترض أن الملاحين الأجانب زاروا منطقة السومريين منذ آلاف السنوات ولنفترض أيضا أنهم قد أرسوا حضارة وثقافة السومريين ومن ثم عادوا الى كوكبهم بعد أن خلفوا وراءهم هذا الحافز على التطور ولنسلم بأن الفضول قد دفع هؤلاء للعودة الى مسرح عملهم الريادي كل مئة سنة أرضية لفحص نتائج تجريتهم قياسا على توقعات الحياة في يومنا هذا، فإن هؤلاء الرواد كان من الممكن أن يبقوا على قيد الحياة مدة ٥٠٠ سنة

أرضية تظهر النظرية النسبية أن الملاحين في هذه الحالة يكونون قد أمضوا من العمر فقط حوالي أربعين سنة أثناء خروجهم من الأرض وعودتهم اليها في المركبة الفضائية التي تكون قد تحركت بسرعة تقارب سرعة الضوءا وعلى مدى هذه القرون من الزمن يكون السومريون قد شيدوا الأبراج والأهرامات والبيوت المجهزة بكل وسائل الراحة، ويكونون قد قدموا الأضاحي لآلهتهم ومكثوا في انتظار عودتها، وبعد مئات من السنين الأرضية تكون آلهتهم هذه قد عادت إليهم بالفعل «ثم جاء الطوفان وبعد الطوفان جاءت سلالة ملكية هبطت من السماء» هكذا تقول الكتابة المسمارية السومرية بأي شكل من الأشكال كان السومريون يتخيلون ويصورون «آلهتهم»؟ إن الميثولوجيا السومرية وبعض الألواح والصور الأكادية تزودنا بالمعلومات حول هذه النقطة فالآلهة السومريون لم يكونوا يشبهون البشر أو لم يكونوا ذوي أشكال بشرية ، وكان كل رمز للإله يرتبط بأحد النجوم أما الشيء الوحيد الملفت للانتباه فهو أن هذه النجوم كانت تدور حولها كواكب ذات أحجام مختلفة كيف تسني للسومريين، الذين كانوا يفتقرون الى التقنيات التي نمتلكها لمراقبة السماء، أن يدرفوا أن للنجم الثابت كواكب تدور حوله؟ هناك رسوم تظهر بشرا يرتدون نجوما على رؤوسهم في حين يمتطي الآخرون كرات مجنحة ثمة صورة واحدة تذكرنا

فورا بصورة نموذج الذرة : وهي عبارة عن دائرة مكونة من كرات مرتبة بجانب بعضها البعض وتشع بالتناوب اذا نظرنا الى تراث السومريين بأعين فضائية «نجد أنه يعج بأسئلة وألغاز تبدو أهوال الأعماق وعجائب السماء الى جانبها باهتة الأهمية وسوف أكتفي هنا بإيراد القليل من الغرائب المأخوذة من نفس المنطقة لجغرافية :

رسوم اللوالب وهي أشياء نادرة تعود الى 6000سنة وتوجد في منطقة تعرف باسم - Geoy tepe صناعة الصوان حجر القدح تعود الى ما قبل ٤٠٠٠٠ سنة في غاركوبه - تماثيل وقبور وأدوات حجرية في Tepe Asiabيعود تاريخها الى ١٢٠٠٠ سنة مضت - براز متحجر يحتمل الا يكون ذا منشا بشري وجد في نفس المكان لقد وجدت الأدوات والكليشيهات الحجرية في /كريم شهير/ واستخرجت الأسلحة والأدوات الصوانية في بارد بلكا وعثر على هياكل عظمية لرجال وأطفال في كهف شاندار وقدر عمرها بطريقة الكربون المشع Cp4 فوجد أنها تعود الى ٥٠٠٠ قم يمكن الاستفاضة في هذه القائمة، وكل حقيقة من الحقائق المكتشفة تعزز اليقين بأن خليطا من البشر البدائيين كانوا يعيشون في منطقة سومر الجغرافية منذ حوالي 40000 سنة، وفجأة، ولأسباب غير مفهومة حتى الآن، وجد السومريون هناك مع فلكهم وثقافتهم وتقنيتهم

إن الاستنتاجات التي يمكن الخلوص اليها من الوجود السابق الزائرين مجهولين على الأرض قدموا من أعماق الكون لاتزال استنتاجات تأملية محضة بوسعنا أن نتخيل ما قامت به «الآلهة، من تجميع للشعوب شبه الهمجية حولها في منطقة سومر وبث بعض معارفها إليها فالرسوم والتماثيل التي تطالعنا اليوم من خلال الغرف الزجاجية في المتاحف تكشف لنا عن خليط عرقي من ذوي العيون الجاحظة والجباه المحدبة والشفاه الضيقة والأنوف الطويلة في معظمهم إنها صورة من الصعب جدا أن تندغم مع النمط المنهجي للتفكير وتصوره للشعوب البدائية زوار من الكون في غابر العصور ؟ في لبنان توجد قطع من الصخر تشبه الزجاج تدعى باسم textitesاكتشف فيها العالم الأميركي دكتور ستير Dr Stair وجود نظائر الألمنيوم المشعة - في مصر والعراق تم العثور على بقايا لعدسات بلورية لا يمكن صنعها في عصرنا هذا إلا باستخدام أوكسيد السيزيوم، أي بعبارة أخرى لا يمكن صنعها في عصرنا الا باستخدام أوكسيدلا يمكن استخلاصه إلا بعمليات كهركيميائية - في حلوان بمصرتوجد قطعة من القماش، هي عبارة عن نسيج بالغ الرقة لدرجة أنه لا يمكن حياكته في هذه الأيام إلا في مصنع خاص تتوفر فيه المهارات والخبرات التقنية العالية -تعرض في متحف بغداد بطاريات كهربائية جافة تعمل على مبدأ

الجلفنة وفي نفس المكان يمكن للزائر أن يشاهد العناصر الكهربائية مع الكترودات النحاس وكهرليت مجهول الكهرليت : مادة تنحل بالكهرباء - م - -في جبال المنطقة الأسيوية من كوهيستان يوجد رسم كهفي يمثل الموضع الدقيق للكواكب كما كانت عليه بالفعل منذ عشرة آلاف سنة وفي هذه الصورة يظهر كوكبا الزهرة والأرض متصلين بخطوط - في النجد البيروفي عثر على زخارف من البلاتين - في دلهي يوجد عمود قديم مصنوع من الحديد الذي لا يحتوي لا على الفوسفور ولا على الكبريت وبالتالي لا يمكن أن تخربه عوامل الطقس إن هذا الخليط الغريب من »المستحيلات« لابد أن يثير فضولنا وارتباكنا بأية وسيلة، بأي حدس، نجح سكان الكهوف البدائيون في رسم الكواكب السيارة في مواضعها الصحيحة؟ من أية ورشة عمل بالفة الإتقان خرجت تلك العدسات البلورية المقطوعة؟ كيف تستى لأي كان أن يصهر ويقولب البلاتين مع أن البلاتين لا يبدأ بالإنصهار قبل بلوغه درجة حرارة قدرها ١٨٠٠م وكيف كان الصينيون القدماء على معرفة بصناعة الألمنيوم وهو المعدن الذي لا يمكن استخراجه من البوكسيت إلا بصعوبة بالغة؟ إنها أسئلة مستحيلة بكل تأكياء، ولكن هل يعني ذلك أنه لا ينبغي علينا أن نطرحها؟ بما أننا غير مستعدين للقبول أو الاعتراف بأنه كانت توجد حضارة أكثر رقيا أو

تكنولوجيا كاملة تشبه تكنولوجيا قبل أن توجد حضارتنا وتكنولوجيتنا فإن كل ما يبقى أمامنا هو فرضية زوار الفضاء وطالما بقيت الاركيولوجيا تسير على نفس المنوال حتى هذا الوقت فلن نمتلك الفرصة لاكتشاف ما اذا كان ماضينا المظلم مبهمة حقا، وقد لا يعود ممكناً تسليط الضوء عليه إن الاحتفال بالعام الأركيولوجي الطوباوي يعتبر وافية بالمطلوب؛ إذ ينبغي على علماء الآثار والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والتعدين وكل المشتغلين بفروع العلوم التي لها علاقة بالموضوع أن يركزوا جهودهم خلال هذا العام على سؤال واحد هو : هل استقبل أسلافنا الأوائل زوارة من الفضاء الخارجية على سبيل المثال، يفترض بالميتالورجي الخبير بالمعادن أن يكون قادرة على اطلاع الأركيولوجي الخبير بالآثار بسرعة وبدقة على مدى تعقيد عملية انتاج الألمنيوم وهل يخفى علينا أن بمقدور الفيزيائي أن يتعرف على وجود صيغة فيزيائية في أحد الرسوم الصخرية؟ إن الكيميائي المزود بأجهزة على درجة عالية من التطور قد يكون قادرة على التأكد من الفرضية القائلة بأن المسلات إنما تم استخراجها من الصخر عن طريق تبليل الأوتاد الخشبية بالماء أو باستخدام أحماض مجهولة أما الجيولوجي فندين له بسلسلة كاملة من الإجابات على الأسئلة المتعلقة بكل ما له أهمية في رسوبيات العصر الجليدي إن الفريق الخاص بإقامة العام

الأركيولوجي الطوباوي من الطبيعي أن يشتمل على مجموعة من الغواصين الذين سوف يبحثون في البحر الميت من بقايا مشعة لانفجار ذري ضرب مدينتي سدوم وعمورية لماذا تعتبر أقدم المكتبات في العالم مكتبات سرية ؟ مما يخاف الناس في الواقع ؟ هل يخشون تسليط الضوء على الحقائق التي تم حجبها واخفائها على مدى آلاف من السنين ؟ إن البحث والتقدم لا يمكن إعاقتهما فعلى مدى 4000 سنة ظل المصريون ينظرون الى آلهتهم على انها كائنات حقيقية أما في العصور الوسطى فقد دأبنا على قتل الساحرات في فورة حماسنا الايديولوجي إن إيمان قدماء الاغريق بقدرتهم على التنبؤ بالمستقبل من أحشاء الأوزة قد صار اليوم اعتقاد باليأ مثله في ذلك مثل اقتناع غلاة المحافظين بأن فكرة القومية لا تزال تمتلك الحد الأدنى من الأهمية إن لدينا ألف خطأ وخطأ عن الماضي لابد من تصحيحها فالثقة الواهية بالنفس صارت شيئا مبتذ، وتحولت في الواقع الى شكل حاد من العناد اذ لا يزال يخيم على جداول أعمال المؤتمرات والعلماء المتشددين الوهم بأنه لابد من إثبات الشيء قبل أن يصبح بمقدور الشخص الرصين أو يجوز له أن يشغل نفسه به في الماضي كان الانسان الذي يتقدم بفكرة جديدة يتعين عليه أن يحسب حساب الازدراء ومضايقات زملائه والكنيسة قد يظن المرء أن الأمور أصبحت

أسهل من ذي قبل فلم يعد هناك المزيد من المحرومين كنسية، وما عادت النيران تضرم في خوازيق الإعدام حرقا إن العقبة الخفية هي أن أساليب عصرنا أقل اثارة، ولكنها من الصعب أن تكون أقل اعاقة للتقدم لقد صار كل شيء أكثر تحضرا الأن، وخفت حدة الجدل فالنظريات والأفكار المتهورة الغير قابلة للاحتمال يتم فمعها أو نبذها بعبارات قاتلة، كما يقول الأميركيون، وتراوح هذه العبارات ضمن عدد من الاحتمالات التالية : إنها خارقة للأنظمة فكرة جيدة تماما ليست كلاسيكية بما فيه الكفاية قابلة للتأثر ثورية أكثر مما ينبغي ؛ لا مثيل لها في تأثيرها المعيق الجامعات لن تقبل شيئا كهذا مقنعة |قد جرب الأخرون ذلك طبعأ، ولكن هل نجحوا في ذلك؟ لا يمكننا أن نجد فيها أي معنى ؛ «هذا هو واقع الحال لم يبرهن على ذلك بعد ؟ منذ خمسمائة سنة كان العلماء يصرخون في المحاكم : إن الحس السليم لا يقربان الأرض من الممكن أن تكون كروية والا فإن البشر الموجودين على النصف السفلي منها سوف يسقطون في الفراغ في حين أكد عالم آخر آن |: اليس في الكتاب المقدس ما يقول بان الأرض تدور حول الشمس، وبالتالي كان كل زعم من هذا القبيل إنما هو من عمل الشيطان ل ا يتبين لنا ما اذا كان ضيق الأفق على الدوام سمة مميزة خامة عندما كانت العوالم الجديدة من الأفكار في بدايتها ولكن على عتبة

القرن الحادي والعشرين يجب على المشتغل بالبحث العلمي أن يكون مستعدة لتقبل الحقائق الخيالية إذ ينبغي عليه أن يظهر حماسة المراجعة القوانين والمعارف التي ظلت مقدسة لقرون من الزمن ولكن من نافلة القول انها صارت موضع تساؤل من جانب المعرفة الحديثة وحتى لو حاول المعسكر الرجعي أن بعتم على هذا الطوفان الفكري الجديد فلابد للعالم الجديد من اقتحام هذا الطوفان بأسنان أولئك الغير قابلين للتعلم باسم الحقيقة والواقع فكل من كان يتحدث عن الأقمار الصناعية في الدوائر العلمية منذ عشرين عاما انما كان يقترفه نوعا من الانتحار الأكاديمي أما في يومنا هذا فقد صارت الأجرام السماوية الاصطناعية، التي تدعى بالأقمار الصناعية، تدور حول الشمس وتقوم بالتقاط الصور لكوكب المريخ، وقد هبطت بكل خفة على سطح القمر وكوكب الزهرة وقامت بالبث الراديوي لصور فوتوغرافية أصلية لمناطق مجهولة تنتمي الى الأرض باستخدام الكاميرات السياحية وعندما بثت هذه الصور الى الأرض من المريخ في ربيع عام ١٩٥٨ كانت الشدة المستخدمة ا ه من الواط ذات مردود ضعيف بشكل لا يصدق ومع ذلك لم يعد هناك شيء لا يصدق ولابد أن كلمة مستحيل قد صارت في الواقع مستحيلة بالنسبة لرجل العلم الحديث وكل من لا يقبل بهذه الحقيقة سوف يصدمة الواقع مستقبلا لذا

دعونا نتمسك بعناد بالنظرية القائلة بان روادة فضائيين من كواكب بعيدة قد زاروا الأرض منذ آلاف السنين إننا نعلم أن أسلافنا السذج والبدائيين لم يكونوا يعرفون ما الذي يصنعونه بتكنولوجيا رواد الفضاء الراقية لقد عبدوا رواد الفضاء باعتبارهم» آلهة» قد قدموا من نجوم أخرى ولم يكن أمام رواد الفضاء خيار سوى أن يتقبلوا بكل صبر أن يكونوا موضع عبادة وكأنهم ألوهيات مقدسة، وهو نوع من الولاء يجب على روادنا الفضائيين أن يكونوا مستعدين له على نحو طارئ على كوكب مجهول لا تزال بعض مناطق الكرة الأرضية مأهولة بشعوب بدائية تعتبر البندقية الآلية سلاحا شيطانية في هذه الحالة قد تعتبر الطائرة النفاثة عربة ملائكية والصوت المنبعث من جهاز الراديو هو صوت الإله إن هذه الشعوب البدائية لا تزال تتناقل انطباعاتها عن الانجازات التقنية التي نستخف بها من جيل إلى جيل بشكل ساذج من خلال حكاياتها الاسطورية وهم لا يزالون ينقشون رسومهم المقدسة وسفنهم العجيبة القادمة من السماء على الجروف الصخرية وجدران الكهوف إن هذه الشعوب الهمجية قد حفظت لنا بالفعل ما نبحث عنه اليوم إذ أن رسوم الكهوف الموجودة في كوهيستان وفرنسا وأمريكا الشمالية وروديسيا الجنوبية وفي الصحراء الكبرى وبيرو، اضافة الى التشيلي ، كلها تشكل روافد لنظريتا، لقد اكتشف هنريلوت، وهو باحث

فرنسي في تاسيلي بالصحراء الكبرى وجود بضع مئات من الجدران المزخرفة بالاف صور الحيوانات والبشر بما في ذلك صورة لأشكال بشرية ترتدي معاطف أنيقة : وقد كان هؤلاء البشر يحملون عصية وعلى العصي يحملون خزائن مجهولة الهوية والى جوار الرسوم الحيوانية نفاجأ بوجود كائن يرتدي نوعا من لباس الغواصين كان الإله الكبير مارس - هكذا سماه لوت - يبلغ ارتفاعه في الأصل ١٨ قدما، ولكن البدائي الذي أورثنا هذا الوسم من الصعب أن يكون بدائية كما يحلو لنا أن نصوره لو أن كل شيء ينطبق تماما على النمط القديم في التفكير ومع ذلك، فمن الواضح أن «البدائي «قد استخدم سقالة لكي يتمكن من الرسم بمثل هذا التناسب، نظرا لعدم وجود انزباحات في مستوى الأرض في هذه الكهوف خلال آلاف السنين الأخيرة ودونما إجهاد زائد للمخيلة يتولد لدي انطباع بأن الإله الكبير مارس قد تم تصويره مرتدية بذلة فضاء أو بذلة غواصين وعلى كتفيه الجبارين تستريح خوذة تتصل بجذعه بنوع من الوصلات ويوجد على الخوذة عدد من الشقوق من الطبيعي أن يكون الفم والأنف من ضمنها ولابد أن يراود المرء الظن بأن ذلك إنما هو نتيجة لعوامل الصدفة أو أنه قد حدث بتأثير الخيال التصويري الفنان ما قبل التاريخ لو كانت هذه الصورة فريدة ولكن يوجد العديد من هذه التماثيل الغامضة بنفس الاتقان

في تاسيلي ، كما تم العثور على تماثيل مشابهة جدا على الواجهات الصخرية الموجودة في منطقة تولار في كاليفورنيا كم كنت أود أن أكون متسامحا وما زالت في نفسي الرغبة في تبني الافتراض القائل بأن الفنانين البدائيين كانوا يفتقرون الى المهارة وأنهم قد رسموا هذه الأشكال البشرية بهذه الطريقة الخرقاء نوعا ما لأنها كانت تمثل أفضل امكانياتهم ولكن في هذه الحالة لماذا كان بمقدور نفس أولئك البدائيين ساكني الكهوف أن يرسموا حيوانات وكائنات بشرية عادية الى حد الكمال لهذا يبدو أكثر مدعاة للتصديق بالنسبة لي الافتراض بأن «الفنانين» كانوا قادرين تماما على رسم ما كانوا يشاهدونه على أرض الواقع في منطقة إنيو كاليفورنيا يوجد شكل هندسي ضمن أحد الرسوم الكهفية يمكن تمييزه دونما اجهاد للخيال، وهو عبارة عن مسطرة قياس نظامية ضمن اطار مزدوج أما الفكرة الأركيولوجية فيمكن تلخيصها في أن هذا الرسم يظهر أشكالا للآلهة

في سيبالك بإيران تم العثور على رسم الحيوان من نوع مجهول يحمل على رأسه قرنين منتصبين هائلين، وهذا الرسم وجد منقوشة على وعاء فخاري لم لا ؟ أما القرنان فتظهر عليهما خمسة خطوط حلزونية الى اليسار واليمين اذا تصورت قضيبين لهما عازلان ضخنان من البورسلان فيكون

تصورك هذا أقرب الى ما يمثله هذا الرسم ما الذي يقوله علماء الآثار بعد كل ذلك انها ببساطة تامة مجرد رموز لإله ما إن الآلهة هم قيمة الخير، والبشر يفسرون كثيرا من الأشياء - أو كل شيء غير مفستر بالتأكيد - بالاستناد الى امتناع المعرفة والخرافة الطبيعية ففي هذا العالم المليء بالأشياء التي لا يمكن اقامة الدليل عليها يمكنهم أن يعيشوا بسلام إن كل قطعة أثرية يتم العثور عليها، وكل قطعة فنية يتم جمعها، وكل تمثال يمكن ترميمه إنما يتم ربطها جميعا، وعلى الفور ، بديانة قديمة أو بأخرى ولكن اذا لم يكن بالإمكان ربط شيء ما بأية ديانة من الديانات القائمة ولو قسرا، فسرعان ما يتم استحضار عبادة قديمة غريبة - مثل أرنب يخرج من قبعة متطاولة وهكذا تحل المسألة ماذا لو أن اللوحات الجصية الجدارية في تاسيلي ، أو في الولايات المتحدة الأميركية أو في فرنسا كانت تمثل فعلا ما شاهده البدائيون ؟ ما الذي ينبغي قوله لو كانت الخطوط الحلزونية المحفورة على القضبان ليست سوى رسم للهوائيات كما شاهدها البدائيون تماما على رؤوس تلك الآلهة الغريبة؟ أليس من المحتمل أن توجد تلك الأشياء التي لا يفترض أنها موجودة؟ إن «البدائيه الذي لا حاجة بنا الى القول انه يمتلك من المهارة ما يكفي لتنفيذ مختلف اللوحات الجدارية، من غير الممكن أن يكون في الواقع بدائية «متوحشا، هكذا فاللوحة الجدارية

التي تحمل اسم «سيدة براندبرغ البيضاء» في جنوب افريقيا كان من الممكن أن تكون لوحة من القرن العشرين اذ سمت هذه السيدة مرتدية كنزة قصيرة الأكمام وبنطلونة ضيقة ملتصقة بجسمها وقفازات وأربطة جوارب وشبشب والسيدة هذه ليست الوحيدة اذ يقف خلفها رجل نحيل وفي يده قضيب متفرع غريب الشكل ويرتدي خوذة شديدة التعقيد ذات قناع من نوع خاص إن هذه اللوحة يمكن قبولها على انها لوحة حديثة دونما تردد ولكن المشكلة هي أننا نتعامل مع لوحة من لوحات الكهوف إن كافة الآلهة المرسومة في اللوحات الكهفية الموجودة في السويد والنروج هم ذوو رؤوس موحدة غير قابلة للتمييز يقول علماء الآثار أنها رؤوس حيوانات ومع ذلك، ألا يوجد شيء من العبث فيما يتعلق بعبادة وإله، يقوم المرء بذبحه وأكله؟ إننا في أغلب الأحيان نرى آلهة لها أجنحة ، لا بل حتى قد يكون لها قرون استشعار نموذجية من حين لآخر مرة أخرى، نصادف أشكالا بشرية ببذلات ضخمة في فال كامونيكا ايطاليا والشيء المحير بما فيه الكفاية هو أن لهم قرونا على رؤوسهم ولن أتمادى الى حد الادعاء بأن سكان الكهوف الايطاليين كانوا يترددون بين شمال أمريكا والسويد والصحراء الكبرى واسبانيا ثيوداد ريال لكي ينقلوا مواهبهم وأفكارهم التصويرية ومع ذلك تبقى المسألة الحرجة المعلقة في الهواء : لماذا صور

البدائيون الأشكال البشرية وهي ترتدي بذلات ضخمة وقرون استشعار منفصلة؟ ما كنت لأضيع كلمة واحدة على هذه الغرائب الغير مفسرة لو أنها لم توجد إلا في مكان واحد فقط من العالم ؟ ولكنها تكاد توجد في كل مكان عندما نتطلع الى الماضي بمنظور الحاضر ونستخدم خيال عصرنا التكنولوجي بفية سد ثغراته ، فإن الأحجية التي تلف الظلمة تبدأ بالتكشف في الفصل التالي سوف أستعين بدراسة الأسفار المقدسة لتحويل نظريتي الى حقيقة قابلة للتصديق بحيث لن يعود بمقدور المنقبين في ماضينا عبر المسيرة الطويلة أن يتهربوا من المسائل الثورية

الفصل الرابع

إن الكتاب المقدس مليء بالأسرار والمتناقضات على سبيل المثال ، يبدأ سفر التكوين بوصف خلق الأرض بدقة جيولوجية مطلقة ولكن - كيف تسنى للمؤرخ أن يعرف أن المعادن قد سبقت النباتات وأن النباتات قد سبقت الحيوانات الى الوجود ؟ نقرأ في سفر التكوين ٢٩ / ١ / : وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فلماذا يتكلم الله بصيغة الجمع؟ لماذا يقول نحن، ولا يقول أنا، ولماذا يقول صورتنا وليس صورتي ؟ هنا لابد أن يظن المرء أن الله الواحد الأوحد يتعين عليه أن يخاطب البشر بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع نقرأ أيضا في سفر التكوين 1 / ٣-٢ :واعتمدنا في ترجمة النصوص الواردة في هذا الفصل على الطبعة العربية الصادرة عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي المترجم

/وحدث لما ابتدا الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن ابناء الله راوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا / من بمقدوره أن يخبرنا عن ماهية أبناء الله الذين اتخذوا من بنات البشر زوجات لهم؟ لقد كان لبني اسرائيل الأقدمين اله مقدس واحد فمن أين ينحدرأبناء الله ؟ ونقرأ أيضا كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضا دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادة هؤلاء هم الجبابرة

الذين منذ الدهرذوو اسم 7 التكوين مرة أخرى نجد أبناء الله الذين تزاوجوا مع الكائنات البشرية وهنا أيضا يرد أول ذكر للعمالقة الجبابرة مازال العمالقة يظهرون على نحو غير متوقع في كافة أرجاء الكرة الأرضية وفي أساطير الشرق والغرب، في الحكايات البطولية للتياهواناكو وفي ملاحم الاسكيمو والعمالقة يلازمون كل صفحات الكتب القديمة إذا، فلابد أنهم كانوا موجودين فعلا فأي نوع من المخلوقات كان أولئك «العمالقة» ؟ هل كانوا أسلافنا الذين شيدوا الصروح العملاقة ونحتوا الكتل الصخرية دون كلل أو ملل ، أم كانوا رواد فضاء ذوي مهارة تقنية أتوا من نجم آخره ثمة شيء وحيد مؤكد وهو أن الكتاب المقدس يتحدث عن» العمالقة، وينعتهم بأنهم «أبناء الله» وأبناء الله هؤلاء يتزاوجون مع بنات الانسان ويتكاثرون يقدم لنا سفر التكوين ٦/ ٢٨-١ وصفة مثيرة ومفصلا لكارثة سدوم وعمورية : جاء ملاكان الى سودوم في المساء عندما كان الأب لوط يجلس قرب بوابة المدينة من الواضح أن لوط كان ينتظر قدوم هذين والملاكين، الذين تبين في الحال أنهما من البشر لأنه تعرف عليهما فورة ودعاهما بحفاوة لقضاء الليل في منزله يقول الكتاب المقدس أن رجال المدينة أرادوا «معرفة» الغرباء لكن الغريبين كانا قادرين على تبديد الشهوة الجنسية للفاسقين من أبناء البلد بإيماءة واحدة

لقد أصابا فاعلي الرذيلة بالعمى استاد الى سفر التكوين ١٢ / ١٩- ١٦ أمر المنزكان لوطا بأن يأخذ زوجته وأبناءه وبناته وأصهاره وكناته خارج المدينة بأقصى سرعة ممكنة محذرين اياه من أن المدينة ستدمر في الحال ولكن العائلة لم تشأ أن تصدق هذا الإنذار الغريب وأخذت الأمر كله على أنه مزحة من مزحات الأب لوط السيئة ثم يتابع سفر التكوين قائلا / : ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة ولما تواني أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة وكان لما أخرجاهم الى خارج أنه قال اهرب لحياتك؛ لا تنظر الى ورائك ولا تقف في كل الدائرة، اهرب الى الجبل لئلا تهلك أسرع اهرب الى هناك لأني لا استطيع ان افعل شيئا حتى تجيء الى هناك /

استنادا الى هذه الرواية، ليس هناك شك في أن الغريبين، الملاكين»، كانا يمتلكان قدرة مجهولة بالنسبة للسكان إن الإلحاح المثير للانتباه، والسرعة التي نقلا بها عائلة لوط إنما يدفعاننا الى التفكير أيضا وعندما تلك الأب لوط سحباه من يديه ؛ فقد كان عليهم الابتعاد خلال دقائق وأصدروا أوامرهم الى لوط بأن يتجه نحو الجبال وعليه ألا يتطلع حواليه لا حاجة بنا للقول إن الأب لوط لا يبدو أنه كان يضمر احتراما لا محدودة

لهذين الملاكين، وذلك لأنه لا يكف عن ابداء الاعتراضات : ليس بوسعي الهرب الى الجبال مخافة أن يحدث الي مكروه وأموت هناك

بعد ذلك بقليل يقول الملاكان أن ليس بوسعهما أن يفعلا شيئ له اذا لم يذهب معهما ما الذي حدث فعلا في سودوم ؟ ليس بمقدورنا أن نتصور الله ملزمة بجدول مواعيد اذا، فلماذا كان ملاكاه» على هذا النحو من الاستعجال؟ أم هل كان دمار المدينة بفعل قوة أخرى، حتمية في تلك اللحظة بالذات؟ هل كان العد التنازلي قد بدأ وكان الملاكان على علم بذلك؟ في هذه الحالة ، من الواضح أن لحظة التدمير كانت وشيكة ألم تكن هناك طريقة أبسط من ذلك لجر عائلة لوط الى بر الأمان؟ لماذا كان يتوجب على هؤلاء أن يذهبوا الى الجبال بأي ثمن؟ ولماذا كان من غير المسموح لهم أن يتطلعوا حولهم مرة أخرى؟

من المسلم به أن هذه التساؤلات ليست سوى أسئلة خرقاء حول مسألة جدية ولكن منذ القاء القنبلتين الذريتين على اليابان بتا على علم بنوع الضرر الذي تسببه هذه القنابل وصرنا نعرف أن الكائنات الحية المعرضة للاشعاع المباشر تموت أو تصاب بمرض عضال دعونا نتخيل لحظة أن سودوم وعمورة قد دمرتا وفقا لمخطط، أي عن سابق اصرار وتصميم بواسطة انفجار نووي ربما دعونا هنا نتأمل ما هو أبعد من ذلك كان

الملاكان يريدان ببساطة أن يدمرا مادة خطيرة قابلة للانشطار وأن يضمنا في نفس الوقت إبادة الجنس البشري الذي وجداه كريها لقد كان موعد التدمير محددة أما أولئك الذين كان عليهم أن ينجوا منه كعائلة لوط مثلا فكان عليهم أن يمكثوا في الجبال على بعد أميال من مركز الانفجار لأن الواجهات الصخرية ستمتص الأشعة الخطيرة بشكل طبيعي وكلنا نعرف القصة وهي أن زوجة لوط قد استدارت الى الوراء ونظرت مباشرة الى الشمس الذرية في أيامنا لا أحد يفاجأ بأنها قد سقطت ميتة في مكانها

/فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ||وهاكم وصفة لكيفية انتهاء الكارثة التكوين ١٩ /٢٧ - ٢٨ / :ويكر ابراهيم في الغد الى المكان الذي وقف فيه امام الربه وتطلع نحوسدوم وعمورة ونحو كل الأرض الدائرة ونظرواذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون قد نكون متدينين كأسلافنا، ولكننا بالتأكيد أقل سذاجة منهم فحتى لو كان لدينا أفضل النوايا في العالم لن يكون بمقدورنا أن نتصور الها كلي القدرة، كلي الوجود، لا حدود لخيره، يعلو فوق كل مفاهيم الزمن ومع ذلك لا علم له بما سيحدث لقد خلق الله الانسان وكان مقتنعاً بعمله هذا ومع ذلك ، يبدو أنه قد تاب عن فعلته فيما بعد؛ بدليل أن نفس هذا الخالق قد قرر إفناء الجنس البشري كما أن من الصعب علينا، نحن الأبناء لمتنورين

لهذا العصر، أن نفكر باب لا حدود الطيبته يعطي الأفضلية لأبناء مفضلين، من أمثال عائلة لوط ، على الأبناء الآخرين الذين لا حصر لهم يقدم لنا العهد القديم تصويرة مؤثرة للحالة التي يهبط بها الله لوحده أو تهبط بها ملائكته من السماء محدثة دوية هائلا ومطلقة سحبة من الدخان إن أعظم الأوصاف وأكثرها أصالة لتصوير هذه الأحداث إنما يرد إلينا من النبي حزقيال / : كان في سنة الثلاثين من الشهر الرابع في الخامس من الشهر وانا بين المسبيين عند نهر خابوران السموات انفتحت فرايت رؤى الله في الخامس من الشهر وهي السنة الخامسة من سبي يوياكين الملك صار كلام الرب الى حزقيال الكاهن ابن بوذي في أرض الكلدانيين من نهر خابور وكانت عليه هناك يد الرباء فنظرت واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه انسان ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة وأرجلها أرجل قائمة وأقدام ارجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظرالنحاس المصقول يعطينا حزقيال تفاصيل دقيقة عن هبوط هذه المركبة فهو يصف عربة تأتي من الشمال تطلق الأشعة وتلألأ مثيرة سحابة هائلة من رمال الصحراء في هذه اللحظة يفترض أن يكون الله في العهد القديم كلي

المقدرة اذا، فلماذا يفترض بهذا الاله الجبار أن ينطلق مندفعة الى الأعلى من اتجاه معين ؟ أليس بمقدوره أن يكون في أي مكان يريد بدون كل هذا الضجيج والدوي ؟ دعونا مرة أخرى نتابع تقرير شاهد العيان الذي وردنا من حزقيال / :فنظرت الحيوانات واذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات وباوجهها الأربعة منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد وللاربع شكل واحد ومنظرها وصنعتها كانها كانت بكرة وسط بكرة لما سارت سارت على جوانبها الأربعة لم تدر عند سيرها أما أطرها فعالية ومخيفة وأطرها ملانة عيونا حواليها للأربع فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها واذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات/ حزقيال ١/١٩١٠ إن هذا الوصف لمدهش في قته يقول حزقيال أن كل بكرة كانت تقع في وسط بكرة أخرى خداع بصري استنادا الى أسلوبنا الحالي في التفكير فإن ما رآه حزقيال هو واحدة من تلك العربات الخاصة التي يستخدمها الأميركيون في الصحراء والأراضي المستنقعية لاحظ حزقيال ان البكرات تبرز من الأرض في نفس وقت ظهور الحيوانات المجنحة لقد كان صائبة تماما من الطبيعي أن عجلات عرية متعددة المهام - أو لنقل طائرة هليوكبتر برمائية لا تبقى على الأرض عند اقلاعها وإليكم مزيدا من حزقيال / : يا ابن آدم قم على قدميك فاتكلم معك

حزقيال ١ / ٢ سمع الراوي هذا الصوت ووجهه في الأرض خوفا ورعبة لقد خاطبت الظهورات الغريبة حزقيال على انه «ابن ادم» وكانت ترغب في التحدث اليه وتستمر الحكاية / : فسمعت خلفي صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه، وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد باخيه وصوت البكرات معها وصوت رعد عظيم / حزقيال ١٣٠١٢ وبالإضافة لهذا الوصف الدقيق للعربة لاحظ حزقيال أيضا الرعد الذي أحدثه هذا الجسم الهائل الجديد عندما غادر الأرض إنه يشبه الضجيج الذي تحدثه الأجنحة والعجلات بالرعد الهائل ألا يوحي ذلك بأنه وصف شاهد عيان :لقد تحدثت «الآلهة» الى حزقيال وأخبرته أن مهمته هي استعادة القانون والنظام الى البلد أخذوه معهم في عربتهم وأكدوا له أنهم لم يتخلوا عن البلد تركت هذه التجربة تأثير قوية على حزقيال لأنه لم يتعب من وصف العربية الغريبة وفي ثلاث مناسبات أخرى يقول أن كل عجلة «بكرة» توجد في وسط عجلة أخرى وان المجلات الأربع يمكنها أن تسير على أجنابها الأربعة وانها لا تعود كما كانت وتأثر بشكل خاص بحقيقة أن جسم العربة باكمله والمؤخرات والأيدي والأجنحة وحتى العجلات كانت كلها ملأى بالأعين إن «الآلهة» تكشف عن الغرض والهدف من رحلتها للمؤرخ فيما بعد عندما تخبره بأن يعيش وسط «بيت

متمرده له عينان ليرى بهما، ولكنه لا يرى، وله أذنان يسمع بهما ولكنه لا يسمع وفي كل مرة كان يتور بمعرفة أهل بلده فكان يتلو ذلك، كما في كل الحكايات التي تصف مثل هذه الهبوطات، اسداء المشورة والارشادات الخاصة عن القانون والنظام اضافة الى تلميحات الى خلق حضارة مناسبة لقد أخذ حزقيال المهمة بجدية بالغة ونفذ تعليمات» الآلهة «مرة أخرى، تواجهنا كافة أنواع التساؤلات : من هم أولئك الذين تكلموا الى حزقيال 5 أي صنف من المخلوقات كانوا ؟ انهم بالتأكيد لم يكونوا «الهة، بالمعنى التقليدي للكلمة ، أو انهم لم يكونوا بحاجة الى عربة لتنقلهم من مكان إلى آخر ان هذا النوع من التنقلات يبدو لي أنه لا ينسجم تماما مع فكرة وجود اله جبار في هذا السياق، ثمة ابتكار تقني آخر في سفر الأسفار يستحق التمعن بتجرد في سفر الخروج ١٠ / ٢٠ يروي موسى التعليمات الدقيقة التي أصدرها الله لبناء فلك الميثاق إذ تعطى التوجيهات بالإنشات حول كيفية وأين يجب تركيب الأضلاع والحلقات، ومن أية سبيكة يجب صنع المعادن وكان المقصود بالتعليمات هو ضمان تنفيذ كل شيء بدقة كما كان يريد الله وقد حذر موسى عدة مرات من ارتكاب أي خطأ / وانظر فاصنعها على مثالها الذي أظهر لك في الجبل / الخروج ٦٠ / ٢٠ وكان الله قد أخبر موسي بأنه سيتحدث اليه من مجلس الرحمة وأخبر موسي

بأن لا يقترب أحد من فلك الميثاق وأعطى تعليمات دقيقة حول الثياب التي ينبغي ارتداؤها والأحذية المناسبة عند نقل الفلك وعلى الرغم من ذلك كله فقد حدث التصدع صموئيل ٢ 6 / قام داوود بتحريك الفلك وساعده غزة في قيادة العربة الموجودة في داخله واثناء العبور تحرك القطيع مما هدد بانقلاب الفلك فتمسك به عزة، فسقط صريعا في مكانه كما لو أن صاعقة قد صعقته

مما لاشك فيه أن الفلك كان مشحونة بشحنة كهربائية فلو أعدنا اليوم بناءه حسب التعليمات التي تلقاها موسى لنتج لدينا فرق كمون فولطاج يقدر بضع مئات من الفولطات فالمكثف مكون من صفيحتي ذهب تحمل احداهما شحنة موجبة في حين تحمل الأخرى شحنة سالبة، هذا بالاضافة الى أنه بفرض أن أحد الملاكين الكيروبيم الجالسين على مجلس الرحمة قام بفعل المغناطيس فإن دارة البوق الصور الذي هو نوع من جهاز للاتصال بين موسى والمركبة الفضائية تكون قد اكتملت إن تفاصيل بناء فلك الميثاق يمكن الإطلاع عليها بحذافيرها في الكتاب المقدس

وبدون الرجوع فعلا الى سفر الخروج تذكر أن الفلك كان محاطة على الأغلب بالشرارات المتوهجة، وقد استفاد موسي من هذه والمرسلة، كلما

احتاج الى العون والمشورة لقد سمع موسي صوت ربه ولكنه لم يره وجها لوجه عندما طلب منه أن يظهر أمامه في إحدى المناسبات ، فما كان من «الله» إلا أن أجابه بقوله / : لا تقدر ان ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش وقال الرب هو ذا عندي مكان فتقف على الصخرة يكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في فقرة من الصخرة واسترك حتى اجتاز، ثم ارفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى / الخروج ٣٣/ ٢٠

٢٣٠ثمة بعض التشابهات المدهشة في النصوص القديمة فعلى اللوح الخامس من ملحمة جلجامش ذات الأصل السومري والأقدم عهدا من الكتاب المقدس نجد هذه الجملة حرفيا : لا يجوز لمخلوق أن يأتي الى الجبال حيث تقطن الآلهة وكل من ينظر الى الآلهة وجها لوجه لابد ان يموت /كما نجد عبارات مشابهة في كتب قديمة أخرى تعود الى عصور غابرة في تاريخ البشرية لماذا لم تكن الآلهة تشاء الظهور وجها لوجه؟ لماذا لم تكن تسمح لأقنعتها بالسقوط 5 مم كانت تخاف؟ أو - هل إن الوصف الكامل الوارد في سفر الخروج قد جاء من ملحمة جلجامش؟ حتى هذا ممكن إذ يعتقد أن موسى قد تربى في أسرة ملكية مصرية ربما أتيح له المجال للوصول الى المكتبات أو الإطلاع على الأسرار القديمة خلال سنوات إقامته هناك ربما كان يتعين علينا أن نشكك أيضا في تواريخ العهد

القديم بسبب وجود قدر جيد من المعطيات التي تدعم حقيقة أن داؤود الذي عاش في زمن لاحق قد تصارع مع عملاق ذي ستة أصابع في يده وستة م أصابع في قدمه انذاك انظر سفر صموئيل الثاني - اصحاح ٢٢ - ١٨ / ٢١ كما يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار احتمال أن تكون التواريخ والحكايات والأوصاف القديمة قد تم جمعها في منطقة واحدة، ثم وجدت طريقها فيما بعد إلى مختلف البلدان على شكل نسخ وطبعات مغربلة بشكل من الأشكال تقدم اللقى المكتشفة خلال السنوات الأخيرة في البحر الميت نصوص قمران توسعة مسهبا مذهلا لسفر التكوين التوراتي هنا نجد، مرة أخرى، أن عدة نصوص لا تزال مجهولة حتى الآن تتطرق الى ذكر العربات السماوية وأبناء السماء والعجلات الدخان الذي ينبعث من الظهورات الطائرة في قيامة موسى تطلعت حواء الى السماء وشاهدت عربة من نور تجرها أربعة نسور متلألئة لم يكن بمقدور أي مخلوق أرضي أن يصف روعتها - هكذا يقال في سفر موسى وفي النهاية، اندفعت العربة نحو آدم وخرج الدخان من بين عجلاتها ومن قبيل الصدفة أن هذه الحكاية لا تقدم لنا جديدة لا داعي للقول أن عربات النور والعجلات والدخان يعود ذكرها على أنها ظهورات عجيبة الى زمن مبكر جدا يرتبط بأدم وحواء ثمة حدث خيالي فكت رموز ألغازه في بردية لامك ولما كانت

البردية ما تزال محفوظة إلا من التشويه فإن الجمل والفقرات الكاملة للنص ما تزال مفقودة ومع ذلك، فإن ما بقي منها يحمل من الأهمية ما يجعله يستحق أن تعاد روايته يقول هذا المصدر التاريخي أنه في أحد الأيام الجميلة جاء لاميك والد نوح الى البيت ففوجئ برؤية صبي تبين بعد معاينة مظهره أنه من خارج نطاق العائلة فانهال لاميك على زوجته بات اينوش بالتوبيخ زاعمل بأن الطفل ليس ابنه أقسمت بات اينوش بكل ما هو مقدس أن البذرة جاءت منه، أي الأب لاميك، وليس من جندي أو من غريب أو من أحد أبناء السماء هنا يمكن أن نسأل عن أي نوع من أبناء السماء كانت تتكلم بات اينوشه في مطلق الأحوال، إن هذه الدراما العائلية قد حدثت قبل الطوفان لا داعي للقول أن لاميك لم يصدق حجج زوجته، ونظرة الانزعاجه الشديد فقد ذهب ليسأل والده ميثو لسلام المشورة ولدى وصوله روى حكاية العائلة التي كان وقعها شديدة عليه أصغى ميثو السلاه اليه فانفعل من الموقف وبادر بنفسه الى استشارة أنوك الحكيم كان الوقواق في عش العائلة يسبب كثيرا من المتاعب بحيث أن الرجل العجوز قبل مشقة الرحلة الطويلة فمشكلة أصل الولد الصغير يجب حلها وهكذا وصف ميثو لسلاه كيف ظهر الصبي في عائلة ابنه وكيف أن مظهره كان أقرب الى ابن السماء منه إلى ابن الانسان فعيناه وشعره وجلده وكل شيء

فيه كان مختلفة عن بقية أفراد العائلة أصغي انوك الى القصة وأرسل ميثو السيلاه في طريقه مرفقة بخبر شديد الإزعاج مفاده أن محاكمة ستجري على الأرض وأن الجنس البشري وكل ما يكتسي لحمأم سيفني بسبب خسته وانحلاله ولكن الولد الغريب الذي كان أصله موضع شك من قبل العائلة تم اختياره ليكون الجد الأعلى الأولئك الذين سوف ينجون من المحاكمة الكونية الكبرى، وبالتالي ينبغي عليه أن يأمر ابنه لاميك أن يسمي الولد نوحا عاد ميثو لسيلاه الى البيت وأخبر ابنه لاميك بما كان ينتظرهم جميعا ما الذي كان بوسع لاميك أن يفعله سوى الاعتراف بالطفل الغريب وقبوله ابنا له وإطلاق اسم نوح عليه ا إن الشيء المدهش في هذه القصة هو تلك المعلومات التي تلقاها والدا نوح حول مجيء الطوفان وأنه حتى الجد ميثو لسيلاه نفسه قد تلقي انذارة بالحدث المرعب عن طريق انوك نفسه الذي اختفي فورة - حسب الرواية التاريخية - والى الأبد في عربة سماوية نارية ألا يفرض هذا سؤالا جدية عما اذا كان العرق البشري ليس نتاجا الاستيلاد مدبر قامت به كائنات مجهولة من الفضاء الخارجي؟ وإلا فما الذي يمكن أن يكون المغزى من حدوث الإخصاب المتكرر على نحو ثابت لدى البشر بواسطة العمالقة وأبناء السماء مع ما رافقه من انقراض لاحق للأنواع الغير ناجحة إن الطوفان، على ضوء ذلك

، يصبح عبارة عن مشروع مسبق التصور تقوم به كائنات مجهولة بهدف إبادة كل أفراد العرق البشري مع الإبقاء على الاستثناءات النبيلة القليلة ولكن، لو كان الطوفان ، الذي ثبت حدوثه تاريخية، قد خطط له ودبره عمدة وأن الأوامر قد صدرت الى نوح قبل بضع مئات من السنوات البناء الفلك فلن يعود بعد ذلك ممكنا تقبله على انه حكم إلهي في عصرنا الحالي لم تعد إمكانية استيلاد عرق بشري ذكي مجرد نظرية عبثية فكما أن القصص البطولية للتياهواناكو والكتابات المنقوشة على قوصرة بوابة الشمس تحكي عن سفينة فضاء كانت تقل الأم العظيمة قد هبطت على الأرض مما أتاح لهذه الأم أن تحمل وتلد أطفالا كذلك فإن الكتابات الدينية القديمة لا تمل من القول بأن الله خلق البشر على صورته ثمة نصوص تشير الى أن الإنسان قد احتاج الى بضع تجارب لكي يأخذ شكله النهائي بشكل ناجح كما أراده الله لقد تمكنا بالاستعانة بنظرية الزيارة التي قامت بها كائنات ذكية مجهولة من الكون الى أرضنا من التسليم بأننا قد تشكلنا على نحو مشابه لتشكل تلك الكائنات الخرافية المجهولة الهوية ضمن هذه السلسلة من البراهين، فإن القرابين والتقدمات التي كانت الآلهة تطالب أجدادنا بها إنما تثير تساؤلات جدية إذ أن مطالب الآلهة لم تكن قاصرة على البخور والأضحيات الحيوانية، بل كانت قوائم الهدايا المطلوبة من

قبل الألهة تتضمن في أغلب الأحيان نقودة مصنوعة من سبائك يتم تحديد مواصفاتها بأدق التفاصيل في الواقع، إن أكبر منشآت صهر المعادن في الشرق القديم التي تم العثور عليها في أزيون جبر كانت مكونة من فرن نظامي حديث جداً ذي شبكة من الأقنية الهوائية والمداخن والفتحات المخصصة لأغراض نوعية ويواجه خبراء صهر المعادن في عصرنا الحالي بظاهرة لم يجدوا لها تفسيرا حتى الآن، وهي كيف أمكن تنقية النحاس في هذه المنشأة التي تعود الى ما قبل التاريخ فمما لا شك فيه أن تلك كانت حالة الرواسب لهائلة من كبريتات النحاس التي عثر عليها في الكهوف والردهات المحيطة بمنطقة ازيون جبر يقدر عمرجميع هذه اللقى بحوالي ٥٠٠٠ سنة على الأقل - اذا حدث أن قابل رواد الفضاء في عصرنا أناسا بدائيين على كوكب

ما في يوم من الأيام فمن المفروض أنهم سيبدون أيضاً مثل أبناء السماء أو الآلهة بالنسبة لأولئك البدائيين وربما ستكون مخلوقاتنا الذكية هذه متقدمة بزمن طويل على سكان هذه المناطق المجهولة والتي لا يمكن تخيلها حتى الآن، تماما مثلما كانت هذه الظهورات الآتية من الكون متقدمة على أسلافنا البدائيين ولكن أية خيبة أمل سوف تصيبنا عندما نعرف أنه قد عفا الزمن على هذا المهبط الذي لا يزال مجهولا حتى الآن، وعندما نعرف

أن روادنا الفضائيين لم يلقوا الترحاب باعتبارهم آلهة، بل قوبلوا بالسخرية والضحك باعتبارهم يعيشون خارج نطاق الأزمنة ؟

الفصل الخامس
الفضاء في الميثولوجيا
قراءة في ملحمة جلجامش

في مستهل هذا القرن تم العثور على لقية أثرية مثيرة في تل كوبوندجيك وهذه اللقية عبارة عن ملحمة بطولية ذات قدرة تعبيرية هائلة وجدت منقوشة على اثني عشر لوحة فخارية تعود الى الملك الآشوري آشور بانيبال وكانت هذه الملحمة مكتوبة باللغة الأكادية ثم عثر فيما بعد على نسخة ثانية تعود الى الملك حمورابي لقد صار بحكم المؤكد أن النسخة الأصلية من ملحمة جلجامش تعود في أصلها الى السومريين، الشعب الأسطوري الذي لا نعرف من أصله شيئا، ولكنهم خلفوا وراءهم عددا مذهلا مكونة من خمسة عشر رقماً كما تركوا معلومات فلكية متطورة جدة ومن الواضح أيضا أن الخط الرئيسي لملحمة جلجامش يسير موازية لسفر التكوين التوراتي يروي اللوح الفخاري الأول من لقي كويوندجيك أن البطل الظافر جلجامش بني جدارا حول أوروك ونقرأ في الملحمة أن «إله السماء كان يسكن في بيت مهيب يضم مخازن القمح، وأن الحراس كانوا يقفون على أسوار المدينة ونعرف من الأسطورة أن جلجامش كان مزيجا من » إله» وانسان، ثلثه إله وثلثه انسان إن الحجاج الذين كانوا يأتون إلى

اوروك كانوا ينظرون اليه بخوف ورعب لأنه لم يسبق لهم أن شاهدوا له مثيلا في الجمال والقوة بمعنى آخر، إن بداية السرد تتضمن فكرة التزاوج بين «الآلهة، والإنسان آنذاك يخبرنا اللوح الثاني أن شخصا آخر هو انكيدو قد خلقته إلهة السماء آرورو يوصف انكيدو بإسهاب وتفصيل فالشعر يغطي كامل جسده ويرتدي جلود الحيوانات ويقتات على العشب في الحقول ويشرب من نفس مشارب الماشية، كما أنه يسلي نفسه بالسباحة في المياه المضطربة عندما يسمع جلجامش، ملك مدينة اوروك، بهذا المخلوق الغريب يوصي بإعطائه امرأة جميلة لكي ينفصل عن الماشية إن انكيدو، الانسان البريء، يؤخذ بحيلة الملك ويمضي ستة أيام بلياليها مع حسناء شبه إلهية هذا التلميح الصغير الى القوادة الملكية يقودنا إلى الاعتقاد بأن فكرة التزاوج بين نصف إله ونصف حيوان لم تكن تعتبر شيئا طبيعية تماما في ذاك العالم الهمجي أما اللوح الثالث فيتابع السرد ليخبرنا عن سحابة غبار جاءت من بعيد فأرعدت السماء واهتزت الأرض، وأخيرا جاء دالإله الشمس «وقبض على انكيدو بجناحيه ومخالبه الجبارة ونصاب بالدهشة عندما نقرا في الاسطورة انه سقط كالرصاص على جسم انكيدو وأن جسمه كان ثقيلا كالجلمود حتى لو قبلنا بأن هذه القصة القديمة هي نتاج لمخيلة خصبة وحذفنا الإضافات التي أضافها المترجمون والناسخون،

فإن الشيء الغير قابل للتصديق فيما يتعلق بهذه الرواية يظل قائمة ألا وهو : كيف تسنى للمؤرخين على الأرض أن يعرفوا أن ثقل الجسم يصبح كالرصاص عند تسارع معين في يومنا هذا صرنا نعرف كل شيء عن قوى الجاذبية والتسارع فعندما ينضغط رائد الفضاء الى مقعده بقوة تبلغ عدة أضعاف قوة الجاذبية لحظة الإقلاع يكون كل ذلك محسوبة سلفا ولكن كيف توصل المؤرخون الى هذه الفكرة على الأرض يروي اللوح الخامس كيف انطلق جلجامش وانكيدو لزيارة مقام الآلهة» مع بعضهما لقد تمكنا من رؤية البرج الذي كانت تسكنه الإلهة ايرنينس يتلألأ في مكان بعيد قبل أن يصلا اليه بزمن طويل إن السهام والصواريخ التي أمطرها الجوالان الحذران على الحراس كانت ترتد دون أن تحدث أية إصابة وعندما وصلا الى منطقة الآلهة سمعا صوتا هادرة يصيح بهما - : ارجعا ولا يسمح لأي مخلوق بالمجيء الى الجبل المقدس حيث تقطن الآلهة، وكل من ينظر الى الآلهة وجها لوجه لابد أن يموت لا يجوز لكم أن تنظروا في وجهي، لأنه ليس هناك من انسان ينظر إلي ويبقى حيا هكذا يقول سفر الخروج

على اللوح السابع نقرا وصف شاهد عيان لرحلة فضائية بلسان انكيدو لقد حلق انكيدو لمدة أربع ساعات متعلقة بالمخالب البرونزية الأحد

النسور وهاكم ما تقوله القصة حرفيا : قال لي : انظر إلى الأرض كيف تبدو لك و انظر الى البحر كيف يبدو لك ؟ وكانت الأرض مثل جبل وكان البحر مثل بحيرة ثم حلق مرة أخرى لمدة اربع ساعات وقال لي : انظر إلى الأرض ماذا تشبه ؟ انظر الى البحر كيف يبدو لك ؟ وكانت الأرض مثل بستان وكان البحر مثل قناة الماء التي يستخدمها البستاني وعاود التحليق لمدة اربع ساعات اخرى وقال : انظر الى الأرض ماذا تشبه 5 انظر الى البحر كيف يبدو لك؟ وكانت الأرض مثل العصيدة وكان البحر مثل جرن الماء في مثل هذه الحالة لابد أن مخلوقاً حيا كان قد شاهد الأرض من ارتفاع شاهق فالوصف بالغ الدقة بحيث لا يترك مجالا للظن بأنه نتاج خيال محض من كان بمقدوره أن يقول أن اليابسة تبدو مثل العصيدة وأن البحر مثل جرن الماء لو لم يكن هناك تصور عن الكرة الأرضية من الأعلى؟ لأن الأرض تبدو فعلا مثل لعبة المكعبات الخشبية مكونة من العصيدة وأجران الماء اذا ما نظرنا اليها من ارتفاع شاهق

عندما يخبرنا نفس اللوح أن الباب تكلم وكأنه شخص حي، فإننا لا نتردد في تعريف هذه الظاهرة الغريبة على أنها مكبر للصوت وعلى اللوح الثامن نقرأ أن انكيدو نفسه، الذي لابد أنه قد رأى من ارتفاع ملحوظ، يموت بمرض غامض لدرجة أن جلجامش يتساءل عن امكانية أن يكون قد

تعرض لنفخة نفس سام من وحش سماوي ولكن من أين أتت جلجامش فكرة أن النفس السام للوحش السماوي يمكن أن يسبب مرض عضالا ومميتأه يصف اللوح التاسع كيف يحزن جلجامش لوفاة صديقه انكيدو لأنه مهووس بفكرة أنه قد يموت بنفس المرض كما مات انكيدو تقول الرواية أن جلجامش مربجبلين يدعمان السماء، وبين هذين الجبلين كانت تقوم بوابة الشمس وعند بوابة الشمس قابل عملاقين وبعد حوار طويل تركاه يمر لأن ثلثيه كانا إلها أخيرة، وجد جلجامش حديقة الآلهة التي كان يمتد خلفها البحر الذي لا نهاية له وبينما كان جلجامش يتابع طريقه أنذرته الآلهة مرتين بقولها : جلجامش، إلى أين أنت مسرعة لن تجد الحياة التي تنشدها وعندما خلقت الآلهة الانسان كتبت عليه الموت واحتفظت لنفسها بالحياة لكن جلجامش لم يأبه للإنذار فقد كان يريد الوصول أوتنابشتم، أبي البشر، مهما تكن الأخطار أما أوتنابشتم فقد كان يقطن الشاطئ البعيد للبحر الهائل، ولم يكن هناك أي طريق يؤدي اليه ولا سفينة تعبره سوى سفينة الإله الشمس وعبر جلجامش البحرمتحديا كل أنواع المخاطر ثم كان لقاؤه مع أوتنابشتم الذي يرد وصفه في اللوح الحادي عشر وجد جلجامش أن هيئة أبي البشر لا هي أكبر ولا أعرض من هيئته وقال انهما يشبهان بعضهما بعضأ كما يتشابه الأب والابن ثم يخبر أوتنابشتم عن ماضيه

بضمير المتكلم المفرد على نحو يدعو للاستغراب إن ما يثير ذهولنا هو الوصف المسهب للطوفان فهو يعاود القول بأن «الآلهة» قد حذرته من قدوم الطوفان الكبير وأوكلت اليه مهمة بناء قارب يأوي على متنه النساء والأطفال والأقارب وأصحاب العرف من كل نوع إن وصف العاصفة الهوجاء والظلمة والفيضان العارم ويأس البشر الذين لم يتمكن من أخذهم معه مازال يمتلك الى اليوم قدرة سردية هائلة كما نسمع ـ تماما كما في رواية نوح في التوراة ـ قصة الغراب والحمامة اللذان أطلقا، وكيف أن القارب استقر على جبل عندما هبط منسوب الماء إن التوازي بين قصتي الطوفان في ملحمة جلجامش والتوراة لا يرقى اليه الشك، وليس هناك باحث واحد يعترض عليه وما يلفت الانتباه في هذا التوازي هو أننا نتعامل مع بشائر مختلفة والهة مختلفة في هذه الحالة اذا كان وصف الطوفان في التوراة قد جاء بطريقة السرد غير المباشر، فإن صيغة المفرد المتكلم المستخدمة في سرد اوتنابشتم تظهر أن أحد الناجين من الموت، والذي هو بمثابة شاهد عيان، هو الذي كان يتكلم في ملحمة جلجامش لقد ثبت بشكل واضح أن طوفانة مدمرة حدث في بلاد الشرق القديم منذ آلاف السنين فالنصوص المسمارية البابلية القديمة تشير بدقة بالغة الى المكان الذي يفترض أن توجد فيه بقايا السفينة وبالفعل، فقد وجد الباحثون على السفح

الجنوبي لجبل آرارات ثلاث قطع من الخشب يحتمل أنها تدل على المكان الذي رسي فيه الملك ومن قبيل الصدفة أن فرص إيجاد بقايا سفينة بنيت في معظمها من الخشب ونجت من الطوفان منذ أكثر من 6000 سنة لا نزال بعيدة الى درجة كبيرة إن ملحمة جلجامش، إضافة إلى كونها تقرير مباشرة غير منقول، فهي تحتوي أيضا على أوصاف لأشياء غير عادية وخارقة للطبيعة، ومن غير الممكن أن تكون اختلافات من صنع كائن عاقل في الزمن الذي كتبت فيه الألواح ولا أن تكون تحويرات قام بها المترجمون والنساخون الذين تناقلوا الملحمة على مر العصور لأن ثمة حقائق مدفونة تحت الأوصاف لابد أن تكون معروفة من قبل مؤلف ملحمة جلجامش اذا نظرنا اليها على ضوء المعارف الحالية قد يؤدي طرح بعض الأسئلة الجديدة الى القاء المزيد من الضوء على الظلمة هل من الممكن ألا تكون ملحمة جلجامش عائدة في أصولها الى الشرق القديم مطلقة، بل إنها تعود الى منطقة تياهوا ناكو؟ هل يمكن أن نتصور أن المنحدرين من سلالة جلجامش قد أتوا من أمريكا الجنوبية وجلبوا الملحمة معهم؟ إن الإجابة بالايجاب ستضع على الأقل تفسيرا لذكر بوابة الشمس وعبور البحر، وفي نفس الوقت ستعطي تفسيرا للظهور المفاجئ للسومريين بدلي أن جميع إبداعات بابل التي جاءت فيما بعد إنما تعود للسومريين ومما لاشك فيه أن

الحضارة المصرية القديمة في زمن الفراعنة كانت تمتلك مكتبات تحفظ فيها الأسرار القديمة وتدرس وتلقن وتدون وكما سبق ذكره، فقد نشأ موسى في البلاط المصري، وبالتالي فقد أتيح له المجال بالتأكيد، للوصول الى غرف المكتبة المهيبة كان موسى انسانة متفتحة ومثقفة في الواقع، من المفروض أنه قد كتب خمسة من أسفاره بنفسه على الرغم من أن اللغة التي يمكن أن يكون قد كتب بها ما تزال لغزا محيرا اذا اشتغلنا على الفرضية القائلة بأن ملحمة جلجامش قد وردت الى مصر من السومريين عن طريق الآشوريين والبابليين، وأن موسى الشاب قد وجدها هناك وتبناها لغاية في نفسه، عندئذ لا تكون قصة الطوفان التوراتية بل قصة الطوفان السومرية هي الرواية الأصلية الا ينبغي علينا أن نسأل مثل هذه الأسئلة؟ يبدو لي أن الأسلوب التقليدي في البحث في العصور القديمة قد صار عاجزا عن التقدم ولا يمكنه أن يتوصل الى النوع الصحيح والمنيع من الاستنتاجات إنه لا يزال أسيرة النمط مقولب من التفكير ولا يدع مجالا للأفكار والتأملات الخيالية والقادرة وحدها على إنتاج زخم إبداعي مما لاشك فيه أن كثيرا من الفرص المتاحة للبحث في الشرق القديم قد تبددت على حصانة وقدسية أسفار الكتاب المقدس إذ لم يكن الناس يجرؤون على طرح الأسئلة والمجاهرة بشكوكهم بصوت عال في وجه هذا التابو وحتى

علماء القرنين التاسع عشر والعشرين المتورين ظاهرية كانوا لا يزالون مأسورين بأغلال أخطاء عمرها ألف عام لأن العودة الى الأصول ستؤدي حتما الى إثارة الشكوك حول أجزاء من الحكاية التوراتية ولكن حتى المسيحيين المتدينين جداً لابد أنهم قد تحققوا من أن الأحداث الموصوفة في العهد القديم لا يمكن في الواقع مصالحتا مع شخصية الله الطيب العظيم الكلي الوجود إن نفس الانسان الذي يريد الحفاظ على العقائد الدينية للكتاب المقدس سليمة ينبغي عليه أن يكون حريصا على الكشف عمن كان يعلم الناس فعلا في العصور القديمة وعمن كان يعطيهم القواعد الأولى للحياة الجماعية وعمن أرسى القوانين الأولى للصحة وعمن أفني السلالة الفاسدة إذا فكرنا بهذه الطريقة وطرحنا مثل هذه الأسئلة فلا يعني ذلك بالضرورة أننا لسنا متدينين انني مقتنع تماما أنه عندما يلقى السؤال الأخير حول ماضينا إجابة أصيلة ومقنعة فإن ما نسميه الله سيبقى الى الأبد بانتظار أن نجد له إسماً أفضل ومع ذلك، فإن الفرضية القائلة بأن الإله الذي لا يمكن تصوره كان بحاجة لعربات ذات عجلات وأجنحة لكي ينتقل من مكان لآخر قد تزاوج مع أناس بدائيين ولم يكن يجرؤ على ترك قناعه يسقط ـ هذه الفرضية تبقى مجرد افتراض خيالي طالما لم تتأكد بالبرهان القاطع

إن الرد اللاهوتي القائل بأن الله حكيم ولا يمكننا أن نتخيله بأي شكل من الأشكال أن يكشف عن نفسه ويجعل شعبه ذليلا ـ هذا الرد ليس في الواقع سوى مراوغة والتفاف على سؤالنا، ولهذا السبب فهو غير مقنع إذ لطالما أغمض الناس أعينهم عن الحقائق الجديدة أيضا ولكن المستقبل يعمل على حث الماضي يوما بعد يوم ففي غضون الي عشر عاما سيهبط البشر على المريخ لو وجدت أية صروح منفردة وقديمة طال هجرانها، لو وجد أي شيء يدل على الذكاء المبكر، لو كان هناك أي رسم صخري بانتظار من يكتشفه ويتعرف عليه، عندئذ ستعمل هذه اللقى على نسف أسس دياناتنا وتلقي بماضينا في خضم الالتباس ان اكتشافة واحدة من هذا النوع سيؤدي الى حدوث ثورة هائلة وإلى إعادة تشكيل التاريخ البشري على ضوء المواجهة المحتومة مع المستقبل ألن يكون من قبيل الذكاء أن نستخدم أفكار خيالية جديدة عندما نستحضر ماضينا؟ فبدون أن نكون متشككين لا يعود بمقدورنا أن نتحمل كوننا س جا إن لكل دين خطوطه العامة ومنهجه الخاص به، وإلهه؛ إنه مجبر على التفكير والايمان ضمن اطار هذه الخطوط العامة في هذه الأثناء، وفي عصر الفضاء تحديداً، سيأتي يوم الحساب العقلي عما قريب إن السحب اللاهوتية سوف تتبخر وتتبدد مثل نتف السديم مع تلك الخطوة الحاسمة الى داخل الكون سيتوجب علينا أن نعترف بأن

ليس ثمة مليونان من الآلهة ولا عشرون ألفا من الطوائف أو عشرة أديان كبرى، بل هناك إله واحد وطائفة واحدة ودين واحد ولكن دعونا نتابع البناء على فرضيتنا حول الماضي الطوباوي للإنسانية وهاكم الصورة المقترحة حتى الآن : منذ عصور سحيقة القدم غير محددة حتى الآن قامت سفينة

فضاء مجهولة باكتشاف كوكبنا، وقد اكتشف طاقم السفينة في الحال أن الأرض تمتلك كل الشروط اللازمة لنشوء الحياة العاقلة الذكية

من الواضح أن «إنسان» تلك الأزمنة لم يكن انسان عاقلا homo sapiensبل كان شيئا مختلفة الى حد ما قام رجال الفضاء بالتخصيب الاصطناعي لبعض إناث هذا النوع، ثم تركوهن يخططن في نوم عميق، كما تقول الأسطورة، ورحلوا ثم بعد ذلك بالاف السنوات، عاد رواد الفضاء ووجدوا أنواع مختلفة من نوع الانسان العاقل أعادوا تجربة التهجين عدة مرات إلى أن حصلوا في نهاية المطاف على مخلوق ذكي لديه من الذكاء ما يكفي لاستيعاب أنظمة المجتمع المفروضة عليه إن البشر في ذاك العصر كانوا لا يزالون في طور الهمجية ولأنه كان ثمة خطر في أن يرتدوا وأن يتزاوجوا من جديد مع الحيوانات، فقد قام رواد الفضاء بإبادة الأنواع البشرية الغير ناجحة أو أنهم أخذوا هذه الأنواع التوطينها على قارات أخرى ثم ظهرت الى الوجود أولى الجماعات البشرية وأولى الحرف

اليدوية فنقشت الواجهات الصخرية وجدران الكهوف واكتشفت صناعة الأواني الفخارية وجرت أولى المحاولات في فن العمارة إن البشر الأوائل كانوا يكنون احترام كبيرة لرواد الفضاء ولأنهم كانوا ينحدرون من مكان مجهول تماما ثم عاودوا الظهور مرة أخرى؛ فقد صاروا «آلهة» بالنسبة لهم ولسبب غريب فإن» الآلهة» قد انشغلت باختبار ذكائها فقد كانت تعني بالمخلوقات الهجينة وتريد حمايتها من الفساد وحفظها من الشر وكانت تريد ضمان نشوء المجتمع نشوءا بناء فقامت بالتخلص من الشواذ الحاصلة في الأجيال التالية ورأت أن الباقين يحققون الشروط الأساسية لبناء مجتمع قادر على التطور من المسلم به أن هذا التصور لا يزال مشوبة بنقاط الضعف والثغرات؛ إذ سيأتي من يقول لي بأنه يفتقر الى الأدلة والبراهين وسيظهر المستقبل كم من هذه الثغرات يمكن سدها إن هذا الكتاب يقدم فرضية تقوم على عدد من التأملات، وبالتالي يجب أن تكون الفرضية صحيحةمع ذلك، عندما أقارن هذه الفرضية بالنظريات التي تمنح كثيرة من الأديان القدرة على البقاء حصينة في ظل محرماتها تابوهاتها فإنما تحدوني الرغبة في أن يعزى الى فرضيتي الحد الأدنى من الاحتمال

ريما سيكون من المفيد قول القليل من الكلمات حول «الحقيقة» إن كل من يؤمن بدين من الأديان ولم يتعرض لأي انتقاد يكون مقتنعة بأنه يمتلك «الحقيقة» ولا ينطبق هذا على المسيحيين وحدهم بل ينسحب أيضا على أعضاء الجماعات الدينية الأخرى، الكبيرة منها والصغيرة إن الثيوصوفيين واللاهوتيين والفلاسفة قد تأملوا تأم تعاليمهم، وفي معلمهم وتعاليمه؛ إنهم مقتنعون بأنهم قد وجدوا الحقيقة من الطبيعي أن يكون لكل دين تاريخه ووعوده التي قطعها الله، ومواثيقة مع الله، ولكل دين أنبياؤه وحكماؤه الذين قالوا فالبراهين على الحقيقة» تبدأ دائما من مركز الدين الذي يعتقه المرء وتنتشر نحو الخارج والنتيجة هي الأسلوب المتحيز في التفكير الذي نترتى على قبوله منذ الطفولة ولا داعي للقول بأن الأجيال قد عاشت وما تزال تعيش في ظل قناعتها بأنها تمتلك «الحقيقة» لكي أكون أكثر اعتدالا أرى أنه ليس بمقدورنا أن نمتلك «الحقيقة» وفي أفضل الأحوال يمكننا الإيمان بها في الواقع، إن كل من ينشد «الحقيقة «ليس بوسعه ولا ينبغي عليه أن ينشدهاتحت حماية دينه وضمن حدود الديانة التي يعشقها وإن هو فعل ذلك، أليس من قبيل المنافقة اعتناق قضية تفتقر الى الاستقامة؟ ما هو الغرض والهدف من الحياة بعد كل ذلك؟ هل الايمان بالحقيقة أم نشدانها حتى لو كان بالإمكان البرهنة على حقائق العهد القديم التوراة

من الناحية الأركيولوجية في بلاد ما بين النهرين، فإن تلك الحقائق المتنوعة ليست مع ذلك إلا برهانا على الدين موضع الدراسة اذا تم التنقيب عن المدن والقرى والأسوار والكتابات القديمة في منطقة معينة، فإن اللقى الأثرية سوف تظهر أن تاريخ الشعب الذي سكن هذه المنطقة هو حقيقة واقعة ولكنها لا تثبت أن إله ذاك الشعب كان الواحد الأوحد وليس رائد فضاء مثلا إن الحفريات الجارية اليوم على امتداد العالم تظهر أن التراثات تنطبق على الحقائق ولكن هل حدث لأي مسيحي فرد أن اعترف بإله حضارة ما مثل حضارة الانكا على أنه الإله الأصلي بنتيجة الحفريات الجارية في البيرو؟ إن ما أقصده ببساطة تامة هو أن كل شيء سواء كان أسطورة أم خبرة فعلية إنما يساهم في صنع تاريخ شعب من الشعوب لا أكثر ولكن حتى هذا الشيء أرى أنه قدر وقسمة وهكذا فإن كل من ينشد الحقيقة فعلا لا يمكنه أن يتجاهل الجديد والجريء في وجهات النظر التي لم تتم البرهنة عليها حتى الآن لأنها ببساطة لا تطبق على مخطط تفكيره أو ايمانه ولما كانت مسألة الرحلات الفضائية لم تبرز إلا منذ مئة عام، فإن آباءنا وأجدادنا ما كان بمقدورهم أن يحوزا بشكل معقول على خاطرة من الخواطر التي تقول بأن أسلافنا قد تلقوا زيارات من الكون الخارجي دعونا نخاطر بعرض فكرة مخيفة، ولكنها ممكنة لسوء الحظ،

وتفترض هذه الفكرة أن حضارتنا الحالية قد دمرت تماما في حرب بالقنابل الهيدروجينية بعد انقضاء خمسة الاف سنة سيجد علماء الآثار نتفأ من تمثال الحرية في نيويورك وتبعا لأسلوبنا الحالي في التفكير، فإن هؤلاء العلماء سيكونون ملزمين بأن يؤكدوا على أنهم انما كانوا يتعاملون مع ألوهية مجهولة قد تكون هذه الألوهية إلهة نارية بسبب وجود المشعل أو إلها شمسية بسبب الأشعة حول رأس التمثال ولن يجرؤوا على القول بأنه أي التمثال كان ببساطة مجرد عمل فني أو لنقل حرفية انه تمثال الحرية لم يعد ممكناً سد الطرق المؤدية الى الماضي بالعقائد الجامدة الدوغما اذا أردنا أن ننطلق الى البحث الشاق عن الحقيقة، يجب علينا جميعا أن نستجمع الشجاعة على ترك الخطوط التي سار فيها تفكيرنا حتى الآن كخطوة أولى للبدء بالشك في كل شيء سبق لنا أن تقبلناه على انه صحيح وحقيقي هل مازال بوسعنا أن نتحمل اغماض أعيننا وصم آذاننا لأن الأفكار الجديدة يفترض بها أن تكون هرطقة وعبثا؟ ومع ذلك فإن فكرة الهبوط على القمر كانت نوعا من العبث منذ خمسين سنة فقط ؟

الفصل السادس

خيالات وأساطير قديمة

أم حقائق قديمة ؟

كما أشرت سابقا فقد وجدت أشياء في العصور القديمة ما كان من المفروض أن تكون موجودة حسب الأفكار الحالية لكن حماستي الجمع الأدلة لم تنته بأي شكل من الأشكال عند اللقى الأثرية التي تراكمت لدينا حتى الآن لماذا ؟ لأن ميثولوجيا الاسكيمو تذكر أيضا أن القبائل الأولى قد جلبت الى الشمال من قبل «آلهة» ذات أجنحة نحاسية، وذكرت أقدم الحكايات البطولية لدى الهنود الحمر طائر الرعد الذي قدم لهم النار والثمار أخيرة تخبرنا أسطورة المايا المعروفة باسم بوبول فوه أن «الآلهة» كانت لها القدرة على تمييز كل شيء :الكون والجهات الأربعة الأساسية للبوصلة وحتى الشكل المدور للأرض فما الذي يحكيه الاسكيمو عن الطيور المعدنية؟ لماذا يذكر الهنود الحمر طائر الرعد؟ كيف تسني لأسلاف قبائل المايا أن يعرفوا أن الأرض كروية؟ كان المايا أذكياء وكانوا يمتلكون حضارة على درجة عالية من التطور فهم لم يتركوا لنا تقويماً زمنية ظرفية فحسب، بل إنهم خلفوا وراءهم أيضاً حسابات رقمية لا

تصدق كانوا يعرفون أن سنة الزهرة تبلغ 584 يوما وقدروا طول السنة الأرضية ب ٢٦٢٠ ,٣٩٥ يوما حيث أن الرقم الدقيق الآن هو 365 , ٢٦٢٢ يوما وتركوا حسابات رقمية تصلح لمدة 14 مليون سنة وتعاملت الكتابات اللاحقة بالواحدات العددية التي تصل حتى 400 مليون إن الصيغة الهرية هي من الدقة العجيبة بحيث تبدو وكأنها قد سبت بواسطة عقل الكتروني في كل الأحوال، يصعب أن نصدق أن هذه المعلومات قد صدرت عن شعب يسكن الأدغال إن الصيغة الزهرية لدى المايا تسير على النحو التالي : تبلغ سنة تسولكين Tzolkin ٢٩٠ يوماً والسنة الأرضية 365 يوما والسنة الزهرية 584 يوما إن هذه الأرقام تخفي إمكانية ناتج القسمة المذهل إن الرقم 365 يقبل القسمة على ٧٣ خمس مرات والرقم 584 ثمان مرات لذا فإن الصيغة العجيبة هذه تأخذ الشكل التالي : ٨٦ ١٣٦٠ ×٧٣ × 10 = ٨ × ٧٣ = ٣٧٩٩٠ الزهرة بمعنى آخر، إن جميع الحلقات تلتقي بعد ٣٧٩٩٠ يوما ثم إن ميثولوجيا المايا كانت تزعم أن الآلهة سوف تأتي الى المثوى العظيم لقد كان من الطبيعي تماما أن تبحث الشعوب القديمة عن آلهتها في السماء وأن تطلق العنان لمخيلتها عند التطرق الى وصف هيبة الظهورات العصية على الفهم والتفسير ومع ذلك، وحتى لو قبلنا بكل ذلك، فلا يزال هناك الكثير من الغرائب المتبقية على

سبيل المثال، كيف قدر لمؤرخ المهابهاراتا أن يعلم بإمكانية وجود سلاح قادر على معاقبة بلد بالجفاف لمدة اثني عشر عاما وأن تكون له من القدرة ما يكفي لقتل الأجنة في أرحام الأمهات؟ إن هذه الملحمة الهندية القديمة، أي المهابهاراتا، هي أكثر قابلية للفهم من الكتاب المقدس، حتى أن أحد التقديرات المتحفظة يشير الى أن النواة الأصلية للملحمة جديرة بالقراءة على ضوء معارفنا الحالية تقول الحكايات الأسطورية الدينية الشعوب ما قبل الإنكا أن النجوم مسكونة وأن الآلهة كانت تأتي اليهم من برج الثريا وتقدم الكتابات المسمارية السومرية والآشورية والبابلية والمصرية نفس الصورة دائمة : كانت «الآلهة» تأتي من النجوم وتعود إليها وترحل عبر السماء في سفن نارية أو في قوارب، وكانت تمتلك أسلحة مرعبة وكانت تعد أبناء البشر بالخلود لن نفاجأ عندما نعرف من الرامايانا أن الشيمانات ، أي الآلات الطائرة، كانت تسير بسرعات هائلة مستعينة بالزئبق والريح ذات قوة الدفع الهائلة لقد كان بمقدور الشيمانات أن تقطع مسافات شاسعة وأن تنطلق الى الأمام وإلى الأعلى والأسفل يا لها من عربات فضاء ذات قدرة على المناورة تثير الحسد إليكم هذا المقتطف من ترجمة ن دوت لعام ١٨٩١ :بامرمن راما صعدت العربة العجيبة الى جبل من السحاب محدثة هديرة هائلا لا يسعنا إلا أن نلاحظ

ورود ذكر الجسم الطائر مرة أخرى، لا بل إن الراوي يتحدث عن هدير هائل وهاكم مقطعا آخر من المهابهاراتا :طارت بهيما مع الشيمانا على متن شعاع ضخم ساطع كالشمس وأحدثت دوبة يشبه هدير العاصفة كوي، ١٨٨٩ حتى المخيلة نفسها تحتاج الى شيء ما تنطلق منه كيف يمكن للراوي أن يعطي أوصافة تفترض مسبقا، على الأقل، وجود فكرة عن و الثريا : ست نجوم ساطعة وواحدة لا ترى بالعين المجردة في كوكبة الثور الصواريخ ووجود معرفة بأن مثل هذه المركبة يمكن أن تمتطي شعاعة وتسبب هديرة مخيفأة في السامسابتاكابادا يوجد تمييز بين العربات التي تطير وتلك التي لا يمكنها أن تطير يكشف الكتاب الأول من المهابهاراتا عن التاريخ الشخصي الحميم لكونتي الغازية التي لم تكتف باستقبال إله الشمس، بل أنجبت منه ولدا يفترض به أن يكون مشعة كالشمس ذاتها ولما كانت كونتي خائفة، حتى في تلك الأيام، من السقوط في العار، فقد وضعت الطفل في سلة صغيرة ورمتها في النهر ثم حدث أن قامت امرأة من طائفة السوتا تدعى اوهيراتا بانتشال السلة والطفل من الماء وتعهدت بتربية الطفل الرضيع بنفسها حقا إنها لقصة يصعب ذكرها لو لم تكن متميزة جدا مثلما هي قصة موسى ومع ذلك، ثمة إشارة أخرى إلى إخصاب البشر بواسطة الآلهة إن أريونا، بطل المهابهاراتا، مثل جلجامش يقطع

مسيرة طويلة لكي يبحث عن الآلهة ويسألهم عن الأسلحة وعندما يشر أريونا على الآلهة بعد الكثير من المخاطرات والمغامرات يقوم سيد السماء اندرا وزوجته ساكي باستقباله استقبالا خاصة أمام جمهور قليل فهما لا يقابلان اريونا الشجاع في أي مكان بعينه بل في مركبة حربية ثقيلة وحتى أنهما يدعوانه الى السفر برفقتهما الى السماء توجد في المهابهاراتا معطيات رقمية من الدقة بحيث يتولد لدى المرء انطباع بأن المؤلف كان يدون المعلومات من مصدرها المباشر فهو في حالة مفعمة بالخيبة والاشمئزاز يصف سلاحاً قادرة على قتل كل المحاربين الذين يرتدون الثياب المعدنية على أجسامهم ولو علم المحاربون بتأثير هذا السلاح في حينه، لمزقوا كل المعدات المعدنية التي كانوا يرتدونها ولقفزوا الى النهر وغسلوا أنفسهم وكل شيء يلمسونه دونما سبب، كما يقول المؤلف، لأن السلاح كان يؤدي الى تساقط الشعر والأظافر إن كل الكائنات الحية قد أصيبت بالشحوب والضعف كما يقول الراوي متحسرة في الكتاب الثامن نلتقي باندرا في مركبته السماوية النفاثة من بين كل أفراد الجنس البشري تم اختيار بوديستيرا باعتباره الوحيد الذي يجوز له دخول السماء بجسده الفاني هنا أيضا نجد أن التوازي مع قصص انوك وايليا لا يمكن تجاهله|وفي نفس الكتاب الذي قد يكون أول وصف لإسقاط القنبلة

الهيدروجينية يروى أن الغورخا قد أفلتت قذيفة منفردة على المدينة الثلاثية، وقد حدث هذا الإسقاط من فيمانا جبارة وترد في سياق السرد مفردات تبقى عالقة في الذاكرة من وصف شاهد عيان لتفجير أول قنبلة هيدروجينية في بيكيني : دخان متقد حتى الابيضاض أسطع من الشمس بألف مرة ارتفع في الجو بتوهج خارق حول المدينة الى رماد وعندما هبطت الغورخا مرة أخرى كانت العربة مثل كتلة متوهجة من الانتموان وكخدمة للفلاسفة يجب أن أذكر هنا أن المهابهاراتا تقول بأن الزمن هو بذرة الكون إن كتابي التيبت، تانيتوا وكانيتوا، يذكران أيضا الالات الطائرة التي تعود الى ما قبل التاريخ والتي كانوا يسمونها دلآلئ السماء ويؤكد الكتابان على نحو معبر أن هذه المعرفة سرية وغير متاحة لعامة الناس في السمارانغاتا سوترادارا تخصص فصول بكاملها لوصف السفن الجوية التي كانت أذيالها تطلق النار والزئبق إن كلمة «نار» في النصوص القديمة لا يمكن أن تعني النار المشتعلة، وذلك لأنه يتم وصف أربعين نوع مختلفة من النار، وأهمها تلك المتعلقة بالظواهر الكهربائية والمغناطيسية من الصعب أن نصدق أن الشعوب القديمة كانت تعرف أنه يمكن الحصول على الطاقة من المعادن الثقيلة والكيفية التي يتم بها ذلك ومع ذلك، يجب ألا نستخف بالنصوص السنسكريتية ونستبعدها باعتبارها

مجرد أساطير إن العدد الهائل من المقاطع المقتطفة من النصوص القديمة التي سبق ذكرها تحول الشك الى يقين بأن البشر قد التقوا بالآلهة في العصور القديمة ونحن لسنا بصدد الخوض أبعد من ذلك في الأسلوب القديم الذي لايزال الباحثون، لسوء الحظ، يتمسكون به : «هذا لا يوجد تلك أخطاء في الترجمة تلك مبالغات وهمية من قبل المؤلف أو الناسخ لابد لنا من استخدام فرضية عمل جديدة لنكتسب فرضية قائمة على المعارف التكنولوجية لعصرنا، ولإلقاء الضوء على الحجاب الكثيف الذي يقبع ماضينا خلفه وكما أن ظاهرة المراكب الفضائية في الماضي السحيق قابلة للتفسير، كذلك ثمة تفسير مقبول ظاهرية للأسلحة الرهيبة التي استخدمتها الآلهة مرة واحدة على الأقل في تلك الأيام والتي يرد وصفها من حين لآخر وهاكم مقطعة من المهابهاراتا سيدفعنا بالتأكيد الى المزيد من التفكير :

حدث كما لو أن العناصرقد أفلتت من عقالها، فالشمس تغزل ول نفسها، والعالم يترنح من الحمى مسفوعة بحرارة السلاح الساطعة الملتهبة اندلعت النار في الفيلة وصارت تعدوتحت تأثير الحرارة مسعورة جيئة وذهابا تستجير من الألم الرهيب وصار الماء يغلي، ونفقت الحيوانات، وانسحق الأعداء وجعل اتقاد الوميض الأشجار تتساقط تباعا كان حريق شب في غابة صارت الفيلة تصدر أصوات مرعبة وغاصت في الأرض

صريعة على مساحة شاسعة من الأرض أما الخيول وعربات الحرب فصارت تشتعل وكان المشهد يبدو كانه نهاية حريق هائل فدمرت آلاف العربات ثم خيم على البحرصمت عميق بدات الرياح تهب والأرض تسطع لقد كان مشهد مرعبة وكانت جثث الموتى قد تشوهت بفعل الحرارة الرهيبة الى درجة انها لم تعد تشبه الكائنات البشرية لم يسبق لنا أبدا أن راينا مثل هذا السلاح المروع ولم يسبق لنا أبدا أن سمعنا بهذا السلاح

وتستمر الحكاية في وصفها فتقول ان اولئك الذين نجوا بجلدهم قاموا بغسل أجسامهم ومعداتهم وأسلحتهم لأن كل شيء كان ملوثا بنفس الآلهة» المميت فما الذي تقوله في ملحمة جلجامش ؟ هل أصبتم بالنفس السام للوحش السماوية وجد البرتو تولي، رئيس الجناح المصري في متحف الفاتيكان كسر من نص يعود الى عهد تحوتمس الثالث الذي عاش منذ حوالي ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد وهذه الكسرة تروي حكاية مفادها أن النساخين شاهدوا كرة من النار تهبط من السماء وأن لهب هذه الكرة كان ذا رائحة كريهة بقي تحوتمس وجنوده يراقبون هذا المشهد الى أن ارتفعت كرة النار في اتجاه الجنوب واختفت عن الأنظار إن كل النصوص التي استشهدنا بها يعود تاريخها الى آلاف السنين وإن مؤلفيها قد عاشوا

على قارات مختلفة وكانوا ينتمون الى حضارات وديانات مختلفة فلم يكن يوجد مراسلون متخصصون لنشر الأخبار في تلك الأيام ولم تكن الرحلات بين القارات حدثاً يومية عادية ومع ذلك نجد أن المصادر التاريخية تروي نفس القصة من أركان الدنيا الأربعة ومن مصادر لا حصر لها فهل كان لجميع مؤلفيها نفس الهاجس الذي كان يستحوذ على تفكيرهم؟ وهل كانت تنتابهم جميعا نفس الظاهرة من المستحيل ومن غير المعقول أن تكون تواريخ المهابهاراتا والتوراة وجلجامش والاسكيمو والهنود الحمر والاسنكدينافيين وغيرها من المصادر التاريخية الكثيرة تروي نفس القصة عن الآلهة الطائرة والعربات السماوية والكوارث المخيفة المتعلقة بهذه الظهورات بمحض الصدفة ودونما اساس من غير الممكن أن يكون لهذه الشعوب نفس الأفكار على امتداد العالم إن النصوص المتماثلة تقريبة لا يمكن أن تصدر إلا عن حقائق واحدة، أي عن أحداث ماقبل التاريخ لقد وصفت هذه النصوص ما كان بالإمكان رؤيته فعلا وحتى لو كان الراوي في الماضي السحيق قد ضخم قصته وبالغ فيها عن طريق الإضافات الخيالية الى درجة كبيرة كما يفعل مراسلو وكالات الأنباء اليوم فإن الحقيقة، أو الحدث الفعلي، تبقى هي النواة لكل التقارير المكتوبة خصيصا للصحف كما هو الأمر في يومنا هذا ومن الواضح أن ذاك الحدث من غير

الممكن أن يكون قد تم اختلاقه في أماكن عديدة جديدة وفي عصور مختلفة دعونا نورد مثالا على ذلك :تهبط طائرة هليوكوبتر في الأدغال الأفريقية لأول مرة لم يسبقالأحد من الأهالي أن شاهد مثل هذه الآلة وإذ تهبط الطائرة في فسحة خالية من الأشجار محدثة دوية مخيفة ينزل منها الملاحون وهم يرتدون لباس المعركة ويعتمرون الخوذات المضادة للصدمات ويمتشقون البنادق الآلية إن الإنسان البدائي الذي لا يرتدي من الثياب سوى ما يستر عورته سيقف مذهولا ومشدوهة أمام هذا الشيء الهابط من السماء وأولئك الآلهة، المجهولين الذين جاؤوا معه بعد فترة من الزمن تعاود الطائرة إقلاعها وتختفي في السماء وعندما يصبح البدائي وحيدا يجد نفسه مجبرة على التفكير في هذا الظهور وتفسيره سوف يخبر الآخرين الذين لم يكونوا حاضرين عما شاهده: طائر، مركبة سماوية تطلق دوية مرعبة وتحدث أخدودة في الأرض، ومخلوقات ذوو بشرة بيضاء يحملون أسلحة تنبثق منها النار وهكذا تبقى الزيارة العجيبة راسخة في الأذهان ويتم تناقلها عبر الأجيال والأزمان عندما يحكي عنها الأب لابنه فإن الطائر السماوي يكبر حجمه والمخلوقات التي خرجت منه تصبح في الحكاية أكثر غرابة وقوة وأكثر رهبة وستضاف الى القصة تزيينات كثيرة، لكن المقدمة لهذه الأسطورة المجيدة ستبقى هي الهبوط الفعلى الطائرة

الهليوكوبتر التي هبطت في فسحة سماوية من الغابة ونزل منها الملاحون ومنذ هذه اللحظة يصبح الحدث خالدة في ميثولوجيا القبيلة إن الأشياء الأكيدة لا يمكن أن تكون اختلاقا وما كنت لأنقب في ما قبل التاريخ بحثا عن رواد الفضاء والعربة السماوية لو لم تظهر أوصاف المثل هذه الظهورات سوى في اثنين أو ثلاثة من الكتب القديمة ولكن عندما أجد أن كل نصوص الشعوب البدائية تقريبا وعلى نطاق العالم كله تحكي نفس القصة أشعر أن من واجبي أن أفسر الحقائق الموضوعية المخفية في صفحاتها يا ابن الانسان، إنك تعيش وسط بيت حزقيال، 2 XIIمن المعروف أن كل آلهة السومريين كانت لها نظائر بين النجوم إذ يعتقد أنه كان يوجد تمثال لمردوخ مارس أعظم الآلهة يزن ٨٠٠ طنا من الذهب الصافي وإذا شئنا أن نصدق هيرودوتس فإن هذا الرقم يعادل أكثر من 58000 ليرة من الذهب كان نينورنا قاضية للكون وكان يحكم بالموت على البشر الفانين ثمة ألواح مسمارية كانت تحتوي على كتابات موجهة إلى مارس وإلى سيريوس وإلى الثرياأو ما يعرف باسم بنات أطلس السبع إن التراتيل والصلوات السومرية كانت تكرر ذكر الأسلحة الإلهية والتي لابد أن شكلها وتأثيرها كانا عديمي المعنى تماما بالنسبة للبشر في تلك الأيام يقول مديح موجه إلى مارس أنه جعل النار تهمر على أعدائه

وتدمرهم بومضة خاطفة وتوصف إينانا عندما تعترض السماء وهي تشع بوميض خاطف للأبصار يمحو ديار الأعداء وقد تم العثور على رسوم وحتى على نموذج لبيت يشبه غرفة ذرية محصنة مسبقة الصنع دائرية الشكل ومصمته ذات فتحة غريبة الشكل وإلى نفس العصر الذي يعود الى حوالي عام ٣٠٠٠ قم وجد علماء الآثار نموذجا لفريق مكون من عربة وسائق بالإضافة الى رياضيين يتصارعان بمهارة غاية في الدقة والكمال وقد ثبت أن السومريين كانوا أساتذة الفنون التطبيقية فلماذا إذا، بنوا نموذجا لغرفة محصنة غامضة في حين كشفت الحفريات في بابل أو في أوروك عن أعمال أكثر براعة بكثير و لقد تم العثور مؤخرة على مكتبة سومرية كاملة تضم حوالي 10000 لوحة فخارية في بلدة نيبور على بعد 45 ميلا إلى الجنوب من بغداد وأصبحنا نمتلك الآن أقدم وصف للطوفان محفور على لوح مكون من ستة أعمدة

لقد ورد على الألواح ذكر لأسماء خمس مدن سابقة للطوفان هي : اريدو، بادنيبيرا، لاراك، ستيبار وشوروباك واشتان من هذه المدن لم تكتشفا حتى الآن على هذه الألواح التي تعد أقدم الألواح التي فكت رموزها حتى الآن، أطلق على نوح السومريين اسم زيوسودرا الذي يعتقد أنه قد عاش في شوروباك كما يظن بأنه قد بنى فلكه هناك لذا فنحن نمتلك الآن وصفا

للطوفان أقدم من الوصف الوارد في ملحمة جلجامش ولا أحد يعرف إن كانت المكتشفات الجديدة ستؤدي إلى الحصول على روايات أقدم من ذلك

يبدو أن البشر في الحضارات القديمة كانت تستحوذهم فكرة الخلود والانبعاث فمن الواضح أن الخدم والعبيد كانوا يرقدون طوعة في القبور الى جانب سادتهم في مدفن شوب ـ آت نجد ما لا يقل عن سبعين هيكلا عظمية ممددة الواحد تلو الآخر بانتظام تام ولم تظهر عليهم أية علامة من العلامات الدالة على استخدام العنف لإجبارهم على ذلك؛ إذ كانوا يجلسون أو يضطجعون بثيابهم الزاهية الملونة بانتظار الموت الذي لابد أنه قد واتاهم بسرعة دونما ألم، ربما عن طريق تجرع السم، وبقناعة راسخة كانوا يتطلعون الى حياة جديدة في القبر برفقة أسيادهم ولكن من هو الذي وضع فكرة الانبعاث في رؤوس هؤلاء الناس الوشيين ؟ إن مقبرة عظماء بانشيون المصريين تثير الحيرة تماما فالنصوص القديمة لشعب النيل تحكي لنا أيضا عن كائنات جبارة كانت تخترق السماء بالسفن وثمة نص مسماري موجه إلى إله الشمس رع يقول : انت يا من تتزاوج تحت النجوم والقمر، انت يا من تجرسفينة آتن في السماء وعلى الأرض كالنجوم التي تدور دونما توقف ونجوم القطب التي لا تغيبا وهاكم نقشأ آخر من هرم :

انت يا من يهدي عربة الشمس لملايين السنوات وحتى لو كان دماء الرياضين المصريين متقدمين جدة، فمن الغريب أن يتكلموا عن ملايين السنوات في معرض حديثهم عن النجوم والمركبة السماوية ما الذي تقوله المهابهاراتا؟ الزمن بذرة الكون في ممفيس قام الإله بتاه بتسليم الملك مخططين لكيفية احتفال بالذكرى السنوية لاعتلاء العرش وأمره بأن يحتفل بهذه المناسبة لمدة ست سنوات في كل مئة ألف عام هل من حاجة لأن أضيف أنه عندما جاء الإله بتاه لإعطاء المخططات للملك إنما ظهرفي عربة سماوية براقة ثم اختفى في الأفق مستقلا هذه العربة وفي يومنا هذا مازال بإمكاننا أن نعثر على صور للشمس المجنحة وتماثيل لنسر معلق يحمل شارة الخلود والحياة الأبدية على أبواب ومعابد إدفو وليس من مكان معروف في العالم تحفظ فيه مثل هذه الصور التي لا حصر لها التي تمثل أشكالا للآلهة المجنحة كما هي محفوظة في مصر إن كل السواح بعرفون جزيرة الفيلة التي تحتوي على مقياس النيل الشهير في أسوان وتدعى هذه الجزيرة بهذا الاسم حتى في أقدم النصوص لأنه كان يعتقد أنها تشبه الفيل لقد كانت النصوص صائبة تماما، فالجزيرة تبدو مثل الفيل ولكن كيف تسني لقدماء المصريين أن يعرفوا ذلك إذا كان هذا الشكل لا يمكن تمييزه إلا من طائرة على ارتفاع شاهق و وحيث لا توجد أية هضبة مطلة على

الجزيرة من شأنها أن تتيح المجال لأي مخلوق لأن يتوصل الى مثل هذا التشبيه بروي نقش مكتشف حديثة على بناء في إدفو أن هذا الصرح ذو منشا فوق طبيعي فالمخطط الأرضي قام برسمه الكائن المؤله /ايم حوتب / شخصية شديدة الغموض والذكاء؛ كان اينشتاين عصره كان كاهنا ونستاخا وطبيبا ومعمارة وفيلسوفة اجتمعوا كلهم في شخص واحد في هذا العصر السحيق، عصر ايم حوتب، اكتشف علماء الآثار أن الأدوات الوحيدة المتاحة لأهل هذا العصر لنحت الحجر هي الأسافين الخشبية والنعاسية، حيث أن أيا منها لا يصلح لقطع كتل الغرانيت ومع ذلك، فقد قام ايم حوتب البارع ببناء هرم ساكارا المتدرج من أجل ملكه الذي كان يدعى زوسر إن هذا الصرح المعماري الذي يبلغ ارتفاعه ١٩٧ قدمة قد أحيط بناؤه بالألغاز بحيث أن المعماريين المصريين كانوا عاجزين عن بناء مثيل له فيما بعد هذا البنيان المسور بجدار يبلغ ارتفاعه ٣٣ قدما وطوله ١٧٥٠ قدما كان يدعى دار الخلود، الذي بناه ايام حوتب وقد دفن فيه لكي تتمكن الآلهة من ايقاظه عند عودتها إن ما نعرفه هو أن كل الأهرامات قد تم تصميمها وفقا لمواقع نجوم معينة أليست هذه المعرفة مثيرة للحيرة والارتباك في ضوء حقيقة اننا نمتلك براهين قليلة جدا على وجود علم فلك مصري سحيق في القدم ؟ لقد كان سيريوس الشعرى اليمانية أحد النجوم

القليلة التي أولوها اهتمامهم ولكن هذا الاهتمام بسيريوس تحديدا يبدو خصوصية إلى حد ما لأنه اذا نظر إليه من ممفيس فلا يمكن رصده إلا من فوق الأفق عند بزوغ الفجر عندما يبدأ فيضان النيل وللقيام بقياس الخلل الحاصل في التدفق وجدت مصر روزنامة دقيقة تبدأ منذ ٦٢٢١ عاما وقد بنيت هذه الروزنامة على شروق سيريوس الأول من شهر تاوت = 19 تموز وكانت تعطي الدورات السنوية لمدة تزيد على ٣٢٠٠٠ عام من المسلم به أن علماء الفلك القدماء كان لديهم الكثير من الوقت لرصد الشمس والقمر والكواكب سنة بسنة حي توصلوا أخيرة إلى أن كل الكواكب تعاود المرور في نفس المكان بعد حوالي 365 يوما ولكن من المؤكد أنه كان من العبث تماماً أن تؤلف أول روزنامة اعتمادا على الشعرى اليمانية سيريوس في حين كان من الأسهل استخدام الشمس والقمر، ناهيك عن النتائج الدقيقة التي يمكن الحصول عليها، ليس من الممكن الافتراض بأن روزنامة سيريوس تشكل نظاما متكاملا قائمة بحد ذاته أو انها نظرية في الاحتمالات لأنها لم يكن بمقدورها أبدأ أن تتنبأ بظهور النجوم فلو ظهر سيريوس عند الفجرذات يوم بينما كان النيل في حالة فيضان لاعتبر ذلك مجرد صدفة محضة إن فيضان النيل لم يكن يحدث سنوية، كما أن فيضاناته لم تكن تحدث في نفس اليوم على مر السنين وفي

الحالتين لماذا وجدت روزنامة سيريوس إذا وهل في الأمر تقليد قديم أيضاً ؟ هل كان ثمة نص أو عهد يرعاه الكهنوت بعناية ؟ إن القبر الذي عثر فيه على عقد ذهبي وهيكل عظمي لحيوان مجهول تماما ربما كان يعود إلى الملك اوديمو فمن أين أتى الحيوان؟ وكيف لنا أن نفسر حقيقة أن المصريين كانوا يمتلكون نظاما عشرية منذ بداية عهد السلالة الأولى؟ كيف كان من الممكن لمثل هذه الحضارة الراقية أن تزدهر في مثل هذا التاريخ الموغل في القدم؟ من أين جاءت تلك الأواني النحاسية والبرونزية التي تعود إلى عصر سحيق هو بداية الحضارة المصرية؟ من هو الذي قدم لهم تلك المعارف التي لا تصدق حول الرياضيات والكتابة الفورية؟ قبل أن نقوم بمعالجة بعض الصروح العمرانية التي تثير عدد لا حصر له من التساؤلات دعونا نلقي نظرة خاطفة على النصوص القديمة

من أين جلب رواة ألف ليلة وليلة هذا المخزون الهائل من الأفكار ؟ وكيف كان بمقدور أي إنسان أن يصف المصباح الذي كان الساحر يتكلم منه كلما أراد صاحبه ذلك؟ أي خيال جريء ذاك الذي ابتكر افتح يا سمسم وحكاية علي بابا والأربعين حرامي؟ بالطبع إن مثل هذه الأفكار لم تعد تدهشنا اليوم، لأن جهاز التلفزيون يرينا صورة ناطقة كلما أدرنا مفتاح التشغيل

كذلك فإن أبواب معظم المخازن الكبرى تفتح بواسطة الخلايا الضوئية، لا بل حتى ان واقعة افتح يا سمسم لم تعد تخفي وراءها أي لغز خاص لا داعي للقول بأن القدرة التخيلية لرواة القصص القدماء كانت غير قابلة للتصديق بحيث تبدو مؤلفات الكتاب المعاصرين في مجال الخيال العلمي تافهة بالمقارنة معها لذا، لابد أن الرواة القدماء كانوا يمتلكون مخزونا من الأشياء المرئية والمعروفة والمجرية المتوفرة بين أيديهم والتي من شأنها أن تشحذ مخيلاتهما في العالم الاسطوري والملحمي للحضارات الغير ملموسة والتي لم تكشف لنا حتى الآن عن أية مرتكزات ثابتة نجد أننا لازلنا نقف على أرضية مهزوزة وأن الأمور تصبح أكثر غموضاً من الطبيعي أن تتطرق الحكايات الأيسلندية والنرويجية القديمة إلى ذكر الآلهة التي تنتقل عبر السماء كان للإلهة فريج وصيفة تدعى غنا وكانت الإلهة ترسل وصيفتها هذه الى مختلف العوالم على متن حصان يرتفع في الجو فوق اليابسة والبحر وكان هذا الحصان يدعى «قاذف الحوافره وفي إحدى المرات، كما تقول الأسطورة، صادفت غنا بعض المخلوقات الغريبة على ارتفاع شاهق في الجو في انشودة الفيز تطلق أسماء مختلفة على الأرض والشمس والقمر والكون وذلك تبعا لمنظور البشر أو الآلهة أو العمالقة أو الأقزام فكيف تسنى للبشر على الأرض في ذاك الماضي السحيق أن

يتوصلوا الى تصورات مختلفة لشيء واحد في حين أن الأفق كان محدودة جدا ؟ بالرغم من أن العلامة ستورلوسون لم يدون الأساطير والملاحم والأغاني النوردية والجرمانية القديمة قبل عام ١٢٠٠ م فإن عمرها، كما هو معروف، يبلغ بضعة آلاف من السنوات في هذه الكتابات بصور رمز العالم على هيئة قرص أو كرة - وهو أمر على قدر كبير من الدلالة كما أن الاله ثور Thor كبير الآلهة يظهر دائمة حاملا مطرقة، أي بمعنى الإله المدمر إن البروفسور كون Kihn يؤيد الرأي القائل بأن كلمةHammer مطرقة التي تعني Stone حجر إنما تعود في أصلها الى العصر الحجري وتم تحويلها إلى مطرقة برونزية ومن ثم إلى مطرقة حديدية بناء عليه، يجب أن يكون الإله ثور وشعار المطرقة مفرقين في القدم، ومن المحتمل أنهما يعودان الى العصر الحجري وعلاوة على ذلك، فإن كلمة Thor في الحكايات الاسطورية الهندية السنسكريتية هي نفسها Tanayitnu وهذه الكلمة يمكن ترجمتها بمعنى والمرعده أو الهادر» أما «ثور، النوردي، إله الآلهة، فهو رب الwanenالجرماني الذي يعرض السماوات للخطر عند مناقشة المعالم الجديدة التي أقوم بإدخالها في عملية استقصاء الماضي فإن الاعتراض الذي يمكن تقديمه هو أنه من غير الممكن جمع كل ما هو موجود في التراث القديم ويشير الى الظهورات السماوية في سياق

البراهين التي تثبت ارتياد الفضاء في عصور ما قبل التاريخ ولكن ليس هذا هو ما أقوم به بل إنني بكل بساطة أعود إلى مقاطع من نصوص قديمة جدا لم تجد لها مكانة في الفرضيات المعمول بها حتى العصر الحالي إنني أغوص بعيدة في تلك المناطق المسلم بخطورتها حيث لم يستطع لا النساخون ولا المترجمون ولا الخطاطون أن يأخذوا أية فكرة عن العلوم وثمراتها كما يجب أن أكون مستعدة لتخطيء الترجمات واعتبار النسخ الموجودة غير دقيقة بما فيه الكفاية لو لم تكن نفس هذه الحكايات القديمة المزيفة تزييفة خيالية مقبولة بكليتها في الإطار العام لدين من الأديان إن من دواعي غثاثة أي باحث أن ينكر شيئا من شأنه أن يشوش فرضية عمله ومن ثم يقبله عندما يدعم نظريته فتصور كيف يكون شكل نظريتي والقوة التي سوف تكتسبها لو وجدت الترجمات الجديدة من منظور فضائى ! إن الذي ساعدنا على صياغة أطروحتنا بدأب أكثر هوتلك المخطوطات الحاوية على نتف من النصوص القيامية والطقسية التي تم العثور عليها مؤخرا قرب البحر الميت وفي الأسفار الأبوكريفية /لإبراهيم وموسى نسمع مرة أخرى عن عربة سماوية ذات دواليب تطلق نارة، بينما نفتقر الى مراجع مشابهة في سفر انوك الاثيوبي والسلافي خلف الكائن رايت عربة لها عجلات من نار، وكل عجلة محاطة بالعيون من كل جوانبها، وعلى

العجلات يوجد عرش وهذا العرش كان مغطى بالنار التي تجري من حوله سفرقيامة ابراهيم حسب تفسير البروفسور شولم فإن رمزية العرش والعرية في الطقوس السرية اليهودية توازي تقريبا رمزية الطقوس السرية الهلنستية والمسيحية المبكرة عندما تتحدث عن البليروما فيض النورإنه تفسير محترم، ولكن هل يمكن البرهنة عليه علميا : قد نتساءل ببساطة عما سيكون عليه الحال لو كان بعض الناس قد شاهدوا فعلا العربة النارية التي ورد ذكرها المرة تلو المرة؟ ولقد عثر على نص سري استخدم بشكل متكرر في مخطوطات قمران فمن بين الوثائق الموجودة في الكهف الرابع تستبدل الأنواع المختلفة من الأبجدية بنوع واحد مع أنها تقوم بنفس الوظيفة التجيمية وتعمل هذه المشاهدات الفلكية عنوانا هو : كلمات الحكيم التي وجهها الى كافة أبناء الفجره ولكن ما هو الاعتراض الحاسم والمقنع ضد إمكانية أن تكون العربات النارية التي ورد وصفها في النصوص القديمة حقيقية فعلا؟ بالتأكيد إن هذا الاعتراض لن يكون من قبيل تلك الفكرة المبهمة والحمقاء القائلة بأن العربات النارية لا يمكن أن تكون قد وجدت في العصور القديمة إن مثل هذه الإجابات لا تستحق أي اهتمام من أولئك الذين أحاول من خلال أسئلتي أن أواجههم بخيارات جديدة في الفترة الأخيرة كف الباحثون المحترمون منذ زمن طويل عن القول بعدم إمكانية

سقوط النيازك من السماء لأنه لا توجد نيازك حجارة في السماء لا بل حتى ان رياضيي القرن التاسع عشر قد توصلوا الى استنتاج كان مقنعة في أيامهم - مفاده أن القطار لا يمكنه أن يسير بأسرع من ٢١ ميلا في الساعة، لأنه إن فعل ذلك فإن الهواء سيندفع منه نحو الخارج، وبالتالي سوف يموت الركاب اختناقة ومنذ أقل من مئة عام تمت والبرهنة» على ان الجسم الأثقل من الهواء لا يمكنه الطيران في سياق عرض قامت به صحيفة مرموقة لكتاب والتر سوليفان الذي يحمل عنوان اشارات من الكون تم تصنيف هذا الكتاب في فئة كتب الخيال العلمي وقالت هذه الصحيفة أنه حتى في المستقبل البعيد سيكون من المستحيل تمام بلوغ ابسيلون اريداني أو تاو - ستي فبتأثير تمدد الزمن أو التجمد الشديد لن يستطيع رواد الفضاء أن يتغلبوا على عوائق المسافات التي لا يمكن تصورها من حسن الحظ أنه كان يوجد دائمأ أشخاص خياليون جريئون بما فيه الكفاية وكانوا بمنأى عن النقد في أيامهم فبدون هؤلاء ما كان ممكن أن توجد شبكات السكك الحديدية بقطاراتها التي تسير بسرعة ١٢٦ ميلا أو أكثر على امتداد العالم ملاحظة : تصور أن يموت الركاب عند سرعة تزيد على ٢١ ميلا في الساعة 1 وبدون هؤلاء ما كان ممكنا أن توجد الطائرة النفاثة لأنهم بالتأكيد سيقعون على الأرض تصور أن الأجسام

الأثقل من الهواء لا يمكنها أن تطيرا وأخيرا ما كان ممكنا أن توجد الصواريخ المنطلقة الى القمر لأن الإنسان لا يمكنه أن يغادر كوكبه وهكذا يوجد الكثير والكثير من الأشياء التي ما كان ممكنا أن توجد سوى في أذهان الحالمين المتخيلين إن بعض الباحثين كانوا يفضلون الالتزام بالحقائق المزعومة وبفعلهم هذا إنما يكونون شديدي الاستعداد والرغبة لنسيان أن ماهو حقيقي اليوم ربما كان حلما طوباويا من أحلام إنسان خيالي في الماضي إن عددا لابأس به من الاكتشافات الصانعة لعصر من العصور التي يعتبرها عصرنا بمثابة حقائق إنما نعزوه الى الصدفة السعيدة وليس إلى البحث العلمي المنهجي الثابت كما أن بعضأ منهم قد بقي مخلصا لسمعة الحالمين الجادين الذين تغلبوا بتأملاتهم الجريئة على المواقف المسبقة المثبطة للعزائم فعلى سبيل المثال لقد قبل هاينريش شليمان بأوديسة هوميروس على أنها أكثر من مجرد قصص وخرافات وتوصل، نتيجة لذلك، الى اكتشاف طروادة إننا لا نزال نعرف القليل جدا حول ماضينا ولم نصل بعد الى ما يمكننا من اطلاق حكم نهائي عليه قد تعمل المكتشفات الجديدة على حل الألغاز التي لم يسبق حلها، فقراءة الحكايات القديمة تمكننا من قلب الحقائق بأكملها رأسا على عقب ومن قبيل الصدفة أن يتضح لي أن الكتب القديمة التي تم إتلافها أكثر من تلك

التي تم حفظها، إذ يعتقد أنه كان يوجد في امريكا الجنوبية كتاب يحتوي على حكمة العصور القديمة كلها ؛ ومن المعروف جيدا أنه قد تم إتلافه على يد الحاكم الثالث والستين للإنكا الذي كان يدعى باتشاكوتي الرابع في مكتبة الاسكندرية كان ثمة خمسمائة ألف مجلد تعود الى العلامة البطليموسي سوتر وتضم كل معارف البشرية آنذاك وقد دمرها الرومان تدميرا جزئية وبعد ذلك بقرون أمر الخليفة عمر بإحراق الجزء المتبقي منها ومما لا يمكن تصديقه أن المخطوطات التي لا تقدر بثمن والتي لا يعوض عنها شيء إنما كانت تستعمل لتسخين الحمامات العامة في الاسكندرية 1 ما الذي آلت اليه مكتبة المعبد في القدس ؟ ما الذي صارت إليه مكتبة برغامون التي يعتقد أنها كانت تضم ٢٠٠٠٠٠ عمل ؟ عندما أمر امبراطور الصين تشي - هوانج بإتلاف كومة من الكتب التاريخية والفلكية والفلسفية لأسباب سياسية في عام ٢١٤ قم فتصوروا الكنوز والأسرار التي أتلفت معها ؟ كم من النصوص أتلفها بولس المرتد في افسوس؟ لا بل ليس بمقدورنا أن نتصور تلك الثروة الهائلة من الأدبيات المتصلة بكافة فروع المعرفة والتي فقدناها بسبب التعصب الديني كم من الكتابات التي يتعذر استردادها قد أحرقها القساوسة والمبشرون في امريكا الجنوبية في ذروة حماسهم الأعمى ؟ هذا ما حدث منذ مئات وآلاف

السنوات فهل تعلم الجنس البشري شيئا من هذا؟ منذ عقود قليلة فقط أمرهتلر باحراق الكتب في الساحات العامة وإلى زمن قريب جداً هو عام 1966 حدث نفس الشيء في الصين أثناء ثورة ماو الثقافية نحمد الله ونشكره أن الكتب في هذه الأيام لا توجد بنسخ وحيدة كما في الماضي إن النصوص والألواح المتوفرة حتى حينه إنما تقل لنا كما هائلا من المعرفة عن الماضي السحيق في كل العصور كان حكماء كل أمة من الأمم يعرفون أن المستقبل سيأتي بالثورات والحروب والدم والنار فهل كانت هذه المعرفة تهدي أولئك الحكماء الى اخفاء الأسرار والموروثات الثقافية عن أعين الرعاع في داخل الصروح المعمارية الهائلة في عصرهم، أو هل قاموا بحفظها من الدمار المحتمل في مكان أمين؟ هل كانوا يمتلكون معلومات أو تقارير مخفية في الأهرامات او المعابد أو التماثيل أو هل قاموا بتسليمها للأجيال اللاحقة على شكل رموز شفرات بحيث تبقى قادرة على النجاة من عمليات النهب على مر العصوره ينبغي علينا، بالتأكيد، أن نخضع هذه الفكرة للتجربة لأن بعيدي النظر من معاصرينا قد فعلوا ذلك تحسبا للمستقبل

في عام 1965 قام الأمريكيون مرتين بدفن كبسولتين في أرض نيويورك بطريقة محكمة الإغلاق والمتانة بحيث يمكنهما أن تتحملا أسوأ ما يمكن أن

تتعرض له الأرض من تقلبات وكوارث لمدة خمسة آلاف سنة قادمة وهذه الكبسولات الأبدية تحتوي على أخبار ومعلومات نريد بثها الى الأجيال القادمة بحيث يتمكن أولئك الذين يتوقون في يوم من الأيام إلى تسليط الضوء على الظلمة التي تحيق بماضي أجدادهم من معرفة الطريقة التي تعيش بها وقد صنعت الكبسولات من معدن

أقسى من الفولاذ الى درجة أنها تتحمل الانفجار الذري وبغض النظر عما تحويه الكبسولات من «أخبار يومية»، فهي تضم كذلك صورة فوتوغرافية للمدن والبواخر والحافلات والطائرات والصواريخ، وعينات من المعادن واللدائن والمنسوجات والخيوط والأقمشة إنها تسلم الأجيال القادمة أشياء ذات استعمال يومي كالنقود المعدنية والأدوات ومواد التجميل وكتبأ عن الرياضيات والطب والفيزياء والبيولوجيا والملاحة الفضائية وكلها محفوظة على ميكروفيلم وإكمالا لهذه الخدمة للجنس البشري في المستقبل البعيد والمجهول فإن هذه الكبسولات تحتوي أيضا على مفتاح» هو عبارة عن كتاب يمكن بواسطته ترجمة كل المادة المكتوبة الى لغات المستقبل

لقد خطرت لمجموعة من مهندسي *شرك*ة / وستنغهاوس اليكتريك فكرة تقديم الكبسولات الأبدية الى الأجيال القادمة ابتكر جون هارينغتون نظام

التشفير البارع لأجيال مجهولة فهل تراهم مجانين أم خياليين ؟ في رأيي أن تحقيق هذا المشروع مفيد ويبعث على الاطمئنان من جديد فمن الظريف أن نعرف أن ثمة رجال في أيامنا يتطلعون بتفكيرهم نحو خمسة آلاف عام إلى الأمام إن علماء الآثار في عصر من العصور المستقبلية البعيدة سوف لن يجدوا الأمور أسهل مما وجدناها لأنه بعد اندلاع الحريق الذري لن تكون لأية مكتبة من مكتبات العالم أية فائدة كما أن الإنجازات التي تجعلنا نتسم بالغرور لن تساوي فلسأ لأنها ستكون قد اندثرت لأنها سوف تدمر، ولأنهاستكون قد تحولت الى ذرات ؛ لا بل إنه ليس هناك من حاجة لأن يدمر الحريق الذري الأرض كمبرر لقيام هؤلاء النيويوركيين بعملهم هذا الذي يتسم بسعة الخيال إن انزياح الأرض على محورها بدرجات قليلة سوف يؤدي الى حدوث انغمارات لم يسبق لها مثيل ولا سبيل الى مقاومتها في كل الأحوال، إن هذه الانغمارات ستبتلع كل كلمة مكتوبة فمن يملك ما يكفي من الغرور الذي يمكنه من الإدعاء بان حكماء الماضي لم يخطر بالهم نفس النوع من الأفكار التي خطرت ببال النيويوركيين البعيدي النظر مما لا شك فيه أن استراتيجيي حرب القنابل الذرية والهيدروجينية سوف لن يوجهوا أسلحتهم ضد سكان قرى الزولو والاسكيمو المسالمين بل سوف يستخدمونها ضد مراكز المدن بمعنى آخر

إن الدمار الاشعاعي سوف يحل بالشعوب المتحضرة والأكثر تطورا أما المتوحشون والبدائيون البعيدون عن مراكز المدن فسيكونون بمنأى عن ذلك وسوف لن يكونوا قادرين على نقل حضارتنا أو حتى اعطاء وصف دقيق لها لأنهم لم يشاركوا في صنعها وحتى الناس الأذكياء والخياليين الذين حاولوا حفظ مكتبة تحت أرضية لن يكونوا قادرين على تقديم الكثير من العون في المستقبل فالمكتبات العادية، سوف تدمر في كل الأحوال كما أن الشعوب البدائية الناجية لن تعرف شيئا عن المكتبات السرية المخفية إن مناطق باكملها من الكرة الأرضية سوف تتحول الى صحارى ملتهبة لإن الإشعاع الذي يدوم لقرون من الزمن لن يسمح لأي نبات بالنمو ويفترض أن حياة الناجين سوف تتعرض للتحول، وبعد مضي الفي عام لن يتبقى شيء من المدن التي أبيدت إن قوة الطبيعة الجامعة سوف تشق طريقها عبر الخرائب وسوف يصدأ الحديد والفولاذ ويتحول الى غيار سيعود كل شيء من جديد! إن الإنسان قد يعاود المغامرة مرة ثانية لا بل وثالثة ربما سيحتاج مرة أخرى الى زمن طويل لكي يعاود نهوضه ككائن متحضر فتصبح عندها أسرار المعارف والنصوص القديمة عصية عليه بعد خمسة آلاف سنة من الكارثة لن يكون بوسع علماء الآثار الإدعاء بأن انسان القرن العشرين قد عرف الحديد وذلك لسبب غامض

بما يكفي وهو أنهم لن يعثروا على أي أثر له مهما كدوا وتعبوا في الحفر والتنقيب فعلى طول الحدود الروسية سيعثرون على أميال من الفخاخ الاسمنتية المنصوبة للدبابات وسوف يفسترون، بدون شك، مثل هذه الاكتشافات على أنها تدل على خطوط فلكية لو قدر لهم أن يكتشفوا أشرطة الكاسيت فلن يعرفوا ما الذي يفعلونه بها، لا بل حتى أنهم لن يميزوا بين الأشرطة المسجلة وغير المسجلة ربما تكون هذه الأشرطة تحمل الحل للكثير الكثير من الألغاز ، فالنصوص التي تتحدث عن مدن عملاقة ذات بيوت يبلغ ارتفاعها مئة قدم ستكون موضع ازدراء لأن مثل هذه المدن من غير الممكن أن تكون قد وجدت إن الباحثين سوف يعتبرون انفاق لندن الأنبوبية تحفة هندسية أو شبكة تصريف مذهلة في تصميمها وقد يقعون على تقارير تتطرق لوصف كيف كان البشريطيرون من قارة إلى قارة على متن طيور عملاقة، وتشير إلى وجود سفن خارقة تقذف النار ثم تختفي في السماء إن كل هذه الأشياء ستلاقي الرفض باعتبارها أساطير، لأن مثل هذه الطيور العملاقة والمراكب القاذفة للنار من غير الممكن أن تكون قد وجدت

ستكون الأشياء شديدة الصعوبة على المترجمين في عام ٧٠٠٠ فالحقائق المتعلقة بحرب عالمية جرت في القرن العشرين ويكشفون عنها من خلال

النصوص المبعثرة سوف تبدو غير قابلة للتصديق ولكن عندما ستقع خطابات ماركس ولينين بين أيديهم سيتوصلون في نهاية المطاف الى جعل هذين الكاهنين من كهنة هذا العصر العصي على الفهم محورة لديانة ما فأي ضربة حظ ؟

إن البشر سوف يصبحون قادرين على تفسير الكثير بشرط بقاء الأدلة الكافية موجودة إن خمسة آلاف عام هي فترة طويلة وانها المجرد نزوة من الطبيعة أن تسمح لكتل منحوتة من الحجر بالبقاء لمدة خمسة الاف سنة فهي لا تتعامل بنفس العرص مع أثخن العوارض الحديدية في ساحة معبد دلهي بوجد - كما سبق أن ذكرت - عمود مصنوع من قطع الحديد الملحومة بقي معرضة للعوامل المناخية والجوية لأكثر من 4000 سنة دون أن يظهر عليه أي أثر للصدأ لأنه لا يحتوي على الكبريت والفوسفور هنا نجد أنفسنا أمام سبيكة مجهولة من العصور القديمة إن هذا العمود ربما يكون قد قام بصبه فريق من المهندسين بعيدي النظر الذين لم يكونوا يمتلكون الوسائل لتشييد بناء ضخم ولكنهم أرادوا أن يورثوا الأجيال القادمة صرحا تدكاريا عن حضارتهم يتحدى الزمن إنها قصة محيرة : في حضارات الماضي المتطورة نجد أبنية لا يمكننا في الوقت الحاضر أن نبني

مثلها بأحدث الوسائل التقنية التي بحوزتنا فها هي الكتل الحجرية موجودة ولا سبيل الى نكرانها ولأن ما ينبغي ألا يوجد لا يمكن أن يوجد، ثمة بحث محموم عن تفسيرات بعقلانية إذا دعونا نزيل الغشاوات عن أعيننا وننضم الى الباحثين !

الفصل السابع

عجائب الماضي مراكز الرحلات الفضائية

إلى الشمال من مدينة دمشق تقع مصطبة بعلبك، وهي عبارة عن منصة مبنية من كتل حجرية بعضها ذو اضلاع يبلغ طولها 15 قدما وتزن حوالي ٢٠٠٠ طن وحتى الآن لم يتمكن علماء الآثار من إعطاء تفسير مقنع عن كيف ولماذا ومن بني مصطبة بعلبك ومع ذلك فإن البروفسور الروسي اجرست يرى احتمال أن تكون هذه المصطبة من بقايا مطار كبير

إذا قبلنا بخنوع تلك الدفعة المحكمة الاتقان من المعلومات التي يقدمها لنا علماء الآثار المصريون فإن مصر القديمة تبدو فجأة وبدون وجود مرحلة انتقالية وكأنها كانت ذات حضارة جاهزية خيالية فالمدن الكبرى والمعابد الهائلة والتماثيل الضخمة ذات القدرة التعبيرية الرهيبة والشوارع الرائعة المزدانة بالمنحوتات العجيبة وشبكات الصرف الكاملة والقبور الفاخرة المنحوتة في الصخر والأهرامات ذات الحجوم الغامرة، كل هذه وغيرها الكثير من الأشياء المذهلة الشامخة من الأرض - إذا صح القول - هي معجزات أصيلة في بلد وجد نفسه فجأة قادرا على الإتيان بمثل هذه الانجازات دون أن يكون له تاريخ سابق مميز إن الأرض الزراعية

الخصبة ليست موجودة إلا في دلتا النيل وعلى امتداد شريط ضيق يمتد على يسار ويمين النهر ومع ذلك فإن الخبراء حاليا بقدرون عدد السكان في زمن بناء الهرم الكبير بنحو خمسين مليونا وهو رقم يتناقض بشكل فاضح مع الرقم عشرين مليونا الذي اعتبر أنه يمثل عدد سكان العالم برمته في عام ٣٠٠٠ ق م ومع هذه التقديرات ليس مهما أن تكون هناك زيادة أو نقصان بمقدار مليوني نسمة ولكن هناك شيء واحد جلي للعيان وهو أنه لم يكن هناك مفر من إطعام هؤلاء جميعا فلم يكن الأمر يقتصر على جيش من عمال البناء والبنائين والمهندسين والبحارة فقط، بل كان هناك أيضا جيش حسن التدريب والتجهيز وعدد هائل من الكهنة المدللين وعدد لا حصر له من التجار والفلاحين والموظفين ، وأخيرا، وليس آخرا ، هناك العائلة الفرعونية التي تعيش على خيرات الأرض فهل كان من الممكن لهؤلاء جميعا أن يعيشوا على المحاصيل الزراعية الضئيلة في دلتا النيل؟

سيأتي من يقول لي أن الكتل الحجرية المستخدمة في بناء المعبد قد تم نقلها على عجلات ، أو بمعنى آخر، على بكرات خشبية ولكن المصريين ما كانوا إلا بشق النفس ليقطعوا الأشجار القليلة المتوفرة لديهم ويحولونها إلى بكرات خشبية وخاصة أشجار النخيل التي كانت آنئذ كما هي اليوم تنمو

في مصر لأن التمر الذي كانت تنتجه أشجار النخيل كانت الحاجة اليه ملحة باعتباره غذاء للبشر، كما أن الجذوع والسعف كانت الأشياء الوحيدة التي تستظل بها الأرض العطشى ولكن لا مناص من أن البكرات المستعملة كانت خشبية وإلا فلن نحصل حتى على أوهى تفسير تقني لبناء الأهرامات هل كان المصريون يستوردون الخشب ؟ لكي يستوردوا الخشب لابد لهم من أن يمتلكوا أسطولا ضخما وحتى بعد رسو الخشب في الاسكندرية لابد من نقله في نهر النيل الى القاهرة ولما كان المصريون لا يمتلكون الخيول والعربات في زمن بناء الهرم الكبير فليس هناك إمكانية أخرى إن العربة والحصان لم يتم إدخالهما إلا في عهد السلالة السابعة عشرة، أي في حوالي عام ١٦٠٠ قم وهي المملكة التي اعتمدت عليها في تفسيري المقنع لنقل الكتل الحجرية ولكن العلماء لا يقرون طبعا بوجود البكرات الخشبية في ذاك العصر ثمة مشاكل عديدة تتعلق بالتكنولوجيا التي استخدمها بناة الأهرام ولم توجد لها حلول جوهرية كيف قام المصريون بحفر قبورهم في الصخر وأية وسائل كانوا يمتلكون لكي ينفذوا تلك المتاهة من الصالات والغرف فالجدران ملساء ومزخرفة في غالبيتها برسوم نافرة، والأعمدة تغوص في التربة الصخرية ولها سلالم مبنية

بأفضل أشكال الاتقان والمهارة بحيث تودي الى حجرات الدفن الموجود في الأعماق السحيقة

تقف جموع السياح وهم يحملقون فيها مشدوهين، ولكن لا أحد منهم يمتلك تفسيرا للتقنية العجيبة المستخدمة في حفرها وقد صار من المسلم به حتى الآن أن المصريين كانوا أساتذة في فن حفر الأنفاق منذ أقدم العصور ، لأن القبور القديمة المنحوتة من الصخر قد تم تنفيذها بنفس الطريقة المتبعة تماما في نحت القبور الأحدث عهداً ليس هناك أي اختلاف بين قبرين من السلالة السادسة وقبر رمسيس الأول من المملكة الحديثة على الرغم من وجود فارق زمني بين القبرين يقدر بحوالي ألف سنة ومن الواضح أن المصريين لم يكونوا يتعلمون شيئا جديدا يضيفونه الى تقنيتهم القديمة في الواقع إن الصروح الأحدث عهداً تميل بشكل مضطرد لأن تكون مجرد نسخ باهتة عن النماذج القديمة إن السائح الذي يشق طريقه نحو هرم خوفو الى الغرب من القاهرة على ظهر جمل يدعى ويلنغتون أو نابليون - وذلك حسبما تكون جنسية السائح - إنما يراوده ذاك الشعور الغريب النابع من الأعماق والذي تولده بقايا الماضي العجيبة إذ يخبره الدليل السياحي أن فرعون كان قد بنى لنفسه مدفنا في هذا المكان ثم يعود هذا السائح الى

وطنه بعد أن يلتقط بعض الصور الفوتوغرافية المعبرة وفي جعبته تلك الشذرة الضئيلة من المعرفة المصاغة في قالب جديد إن هرم خوفو تحديدا قد استتار مئات النظريات الحمقاء التي تفتقر الى الحجة للدفاع عنها في كتاب تشارلز بيازي المنشور عام ١٨٩٤ والواقع في 600 صفحة والذي يحمل عنوانتراشا في الهرم الكبيرا نقرأ عن وجود ارتباطات بين الهرم والكرة الأرضية ينتصب لها شعر الرأس وحتى الآن وبعد إخضاعه لتمحيص نقدي رفيع، لايزال هذا الكتاب يحتوي على الحقائق التي ينبغي أن تكون حافزا لنا على التفكير والتأمل من المعروف جيدا أن المصريين القدماء كانوا يعتنقون ديانة شمسية فإلههم الشمس رع كان يعبر السماء في بارك مركب مؤلف من ثلاث صواري لا بل إن النصوص الموجودة في هرم المملكة القديمة تتطرق الى وصف رحلات سماوية يقوم بها الملك بمساعدة الآلهة وسفنهم وهكذا نجد أن آلهة وملوك المصريين كانوا على خبرة بالطيران هل هي حقاً مصادفة أن يكون ارتفاع هرم خوفو مضروبة بالرقم 1000مليون يساوي تقريبا البعد بين الأرض والشمس؟ أو لنقل تحديدة 13 مليون ميلا هل هي صدفة أن يكون خط الطول الذي يخترق الهرم إنما يقسم القارات والمحيطات الى نصفين متساويين ؟ هل هي صدفة أن مساحة قاعدة الهرم مقسومة على ضعفي ارتفاعه تعطينا العدد الشهير

اكتشفه لودولف؟ هل هي صدفة أن الأرض الصخرية التي يقوم عليها البناء قد سويت بدقة وعناية ؟ لا يوجد دليل واحد نهتدي به الى تفسير السبب في أن باني هرم خوفو، الفرعون خوفو ، قد اختار تلك البقعة الصخرية تحديدا من الصحراء لتكون موقعا لهذا الصرح المعماري من الجائز أنه كان يوجد فالق صخري في الصخرة التي استفاد منها لبناء هذا الهرم ، في حين يقول تفسير آخر، مع أنه تفسير واه ، أن الباني كان يريد مراقبة سير العمل من هذا المقر الصيفي إن التبريرين مخالفان للمنطق السليم في الأول، نجد بالتأكيد أنه كان من الأفضل عملية أن يكون موقع البناء متوضعة على مقربة من المقالع الشرقية وذلك اختصارا للمسافات في النقل، أما في الحالة الثانية فمن الصعب أن نتصور أن الفرعون كان يريد الإزعاج الناتج، عاما بعد عام، عن الضجيج الذي كان يملأ مواقع البناء ليل نهار حتى في تلك الأيام وبما أن ثمة الكثير مما يقال في دحض التفسيرات الواردة في النصوص حول اختيار الموقع فيمكن للمرء بشكل منطقي أن يتساءل عما إذا لم يكن للآلهة القول الفصل هنا أيضا ولو عن طريق الكهنة ولكن اذا تم قبول هذا التفسير فأكون قد حصلت على برهان أكثر أهمية على نظريتي المتعلقة بالماضي الطوباوي للجنس البشري لأن الهرم لا يكتفي بقسم القارات والمحيطات الى نصفين متساويين بل إنه يقع

في مركز ثقل القارات اذا لم تكن الحقائق التي أوردتها هنا مجرد مصادفات - ويبدو من الصعب الى حد بعيد الاعتقاد بأنها كذلك - فيكون موقع البناء إذا قد تم اختياره من قبل كائنات كانت تعرف كل شيء عن الشكل الكروي للأرض وتوزع القارات والبحار في هذا السياق دعونا نعود الى خرائط بيري ريس ؛ فإما الأ تكون كلها مصادفات وإما أنه يمكن استبعادها على أنها قصص من نسج الخيال بأية قدرة، بأية آلات وباية وسائل تقنية تمت تسوية الأرض الصخرية تسوية تامة؟ كيف قام معلمو البناء بجر الأنفاق نحو الأسفل وكيف أمنوا إنارتها ؟ إذ لم تستعمل المشاعل ولا أي شيء مما شابه ذلك لا هنا ولا في القبور المنحوتة في الصخرفي وادي الملوك والدليل على ذلك عدم اسوداد أي سقف أو جدار بهباب الفحم أو حتى عدم وجود أثر لاسوداد تمت إزالته كيف وبأي شيء تم اقتلاع الكتل الحجرية من المقالع ؟ وكيف وبأي شيء تم جعلها ذات حواف حادة وسطوح ملساء؟ كيف تم نقلها ورصفها الى بعضها البعض بدقة تبلغ واحد على الف من الإنش؟ مرة أخرى، هناك كم هائل من التفسيرات المتاحة لأي شخص اليختار منها : السطوح المائلة والسكك التي كانت تدفع الحجارة على امتدادها والسقالات والسلالم، وبالطبع هناك جهود مئات الآلاف من العبيد المصريين، الفلاحين والبنائين والحرفيين

إن أية من هذه التفسيرات لا يصمد أمام التمحيص النقدي فالهرم الكبير كان ولا يزال؟ شاهداً منظورا على تقنية ما تزال عصية على الفهم في يومنا هذا ، في القرن العشرين ، ليس بمقدور أي معماري أن يشيد نسخة عن هرم خوفو حتى لو وضعت تحت تصرفه موارد كل القارات مجتمعة لقد تم اقتلاع ٢٩٠٠٠٠٠ كتلة عملاقة من المقالع ثم شذبت ونقلت، ووصفت الى بعضها البعض في موقع البناء بدقة تصل الى 17/1من البوصة وهناك في الأسفل ، في الداخل، في الردهات طليت الجدران بالألوان لقد كان موقع الهرم نزوة من نزوات الفرعون

إن الأبعاد القياسية الفريدة للهرم قد خطرت لمعلم البناء بالصدفة، وقام بضع مئات الألوف من العمال بدفع وسحب كتل تزن ١٢ طنا على سلم ذي حبال لم تكن موجودة آنذاك على بكرات لم تكن موجودة أيضا وهذا الجيش من العمال كان يقتات على حبوب غير موجودة وكان أولئك ينامون في أكواخ كان قد بناها الفرعون خارج مقره الصيفي وكان العمال يستحثون على العمل بواسطة النداءات المشجعة من خلال مكبر للصوت وهكذا كان يتم دفع الكتل التي تزن ١٢ طناً نحو الأعلى وبفرض أن العمال الصناعيين كانوا قد أنجزوا المعدل اليومي الاستثنائي الذي يبلغ /10/ كتل مرتبة فوق بعضها البعض فمعنى ذلك أنهم كانوا يحتاجون لتجميع الكتل البالغ عددها

مليونين ونصف المليون على شكل هرم حجري هائل الى حوالي ٢٥٠ ألف يوم أو يعادل 114 سنة ولا تنسوا أيضا أن كل هذا الشيء العظيم قد خرج الى حيز الوجود كنزوة من نزوات ملك غريب الأطوار لم يقدر له أن يعيش ليشهد إكمال الصرح الذي أمر بتشييده بالطبع ، يجب على المرء ألا يأخذ هذه النظرية المتقدمة البالغة الجدية على محمل السخرية فحتى الآن يبقى السؤال : من هو ذاك الساذج الذي يصدق أن الهرم لم يكن سوى قبر للملك، من الآن فصاعدا من ذا الذي سوف يعتبر إرسال الإشارات الرياضية والفلكية محض صدفة؟ مما لا خلاف عليه اليوم أن الهرم الكبير يعزى إلى الفرعون خوفو ملهما وبانيا لماذا؟ لأن كل النقوش والألواح المكتوبة تشير الى اسم خوفو ويبدو جليا لي أن الهرم من غير الممكن أن يكون قد تم تشييده خلال فترة حياة شخص واحد ولكن ماذا لو أن خوفو هو الذي زوّر الكتابات والألواح التي يعتقد أنها تدل على شهرته؟ لقد كان ذلك سلوكا شائعا في العصور القديمة كما تروي شهادات تحملها كثير من الأبنية فكلما كان الحاكم المستبد يرغب في الشهرة له وحده كان يعطي الأوامر للقيام بهذا الإجراء لو كانت الحالة هكذا، لكان معنى ذلك أن الهرم كان موجودا قبل أن يقوم خوفو بترك بطاقة زيارته له بزمن طويل

في المكتبة البودلية باوكسفورد توجد مخطوطة يذكر فيها المؤلف القبطي /ماس اودي / أن الملك المصري سوريدا هو الذي أمر ببناء الهرم الكبير ومن الغرابة بمكان أن سوريدا هذا قد حكم مصر قبل الطوفان وقد أمر هذا الملك الحكيم كهنته بتدوين آخر ما توصلت اليه معارفهم وأن يخفوا هذه الكتابات في داخل الهرم لذا فإن الهرم ، استنادا الى التراث القبطي، يكون قد بني قبل الطوفان يؤكد هيرودوتس مثل هذه الفرضية في الكتاب الثاني من تاريخه لقد كان كهنة طيبة قد أطلعوه على 351 تمثالا ضخما ، وكل واحد من هذه التماثيل كان يمثل جي كهنوتية نبي يمتد على فترة زمنية تبلغ ١١٢٥٠ عاما

لقد بتنا نعرف الآن أن كل كاهن نبيل كان له تمثاله الذي بصنع له خلال فترة حياته ، كما يخبرنا هيرودوتس أنه خلال إقامته في طيبة كان الكهنة، كل على حدة، يريه تمثاله الخاص به كدليل على أن الابن كان يتبع أباه دائما كما أكد الكهنة لهيرودوتس أن إفاداتهم دقيقة جدا لأنهم كانوا قد دونوا كل شيء على مدى أجيال كثيرة وشرحوا له أن كل واحد من هذه التماثيل الى 341 كان يمثل جيلا وأن الآلهة قبل هذه الأجيال كانوا يعيشون بين البشر، ومنذ ذاك الوقت لم يقم أي إله بزيارتهم مرة أخرى في هيئة بشرية تقدر الفترة الزمنية التاريخية لمصر بحوالي 6000 سنة فلماذا

يكذب الكهنة دون خجل على الرحالة هيرودوتس ويدعون أنها تبلغ حوالي ١١٣٥٠ سنة؟ ولماذا أكدوا له على هذا النحو المؤثر انه لم يعش بينهم أي إله على مدى ٢٥١ جيلا : إن هذه التفاصيل الدقيقة كان من الممكن أن تكون عديمة الأهمية لو أن الآلهة، لم يكونوا قد عاشوا فعلا بين البشر في الماضي السحيق ؛ لا نعرف شيئا تقريبا حول كيفية وسبب وتاريخ بناء الهرم إن جبلا اصطناعيا يبلغ ارتفاعه حوالي 490 قدما

يجثم هناك كشهادة على انجاز لا يصدقه العقل وهذا الجبل يفترضبأنه ليس أكثر من مدفن لملك ميت إن كل من بمقدوره أن يصدق هذا التفسير فليتفضل معنا الى داخل الهرم

إن المومياءات التي لا تزال على غموضها ولم تجد تفسيرا مقبولا إنما تمثل تحديا لنا من الماضي السحيق كما لو كانت تحمل سرا سحرية لقد كان البشر على اختلافهم يعرفون تقنية تحنيط الجثث، حيث إن المكتشفات الأثرية تدعم الفرضية القائلة بأن أناس ما قبل التاريخ كانوا يؤمنون بالعودة الى حياة ثانية، أي بعودة الجسد الى الحياة إن هذا التأويل كان من الممكن أن يكون مقبولا لو وجد أبعد دليل على الإيمان بالانبعاث الجسدي في الفلسفة الدينية للعصور القديمة ولو كان أسلافنا البدائيون يؤمنون بالعودة الروحية فقط لكانوا وفروا على أنفسهم عناء الدخول في هذه المشكلة مع الأموات ولكن

المكتشفات الأثرية في القبور المصرية تقدم لنا المثال تلو المثال على تحضير الجثث المحنطة من أجل العودة الجسدية إن ما تقوله الشهادة الملموسة أو مايقوله البرهان الحسي لا يمكن أن يكون عبنا فالرسوم والقصص البطولية قد نوهت فعلا إلى أن والآلهة» قد وعدت بالعودة من النجوم لإنعاش ايقاظ الأجساد المحفوظة جيدة لكي تبدأ حياة جديدة وهذا هو السبب في أن تموين الجثث المحنطة في حجرات الدفن كان يتخذ هذا الشكل العملي وكان الهدف منه الإعداد لحياة ستعاش على هذا الجانب من القبر ، وإلا ما الذي كان يفترض بأنهم سيفعلونه بالنقود والمجوهرات والحاجيات المفضلة؟ ولما كانوا يزودون في القبر حتى ببعض الخدم الذين كانوا يدفنون أحياء رغما عنهم ، فمن الواضح أن الغاية من كل هذه التحضيرات هو استمرار الحياة القديمة في حياة جديدة لقد كانت الأضرحة على درجة كبيرة من المتانة والصلابة وتكاد تكون مقاومة للانفجار الذري وكانت تتمتع بالقدرة على النجاة من الكوارث التي سوف تحدث على مر العصور قاطبة إن الأشياء النفيسة التي كانت تترك في داخلها، كالذهب والأحجار الكريمة ، كانت، في الواقع، غير قابلة للتلف ولست معنية هنا بمناقشة المساوئ الأخيرة للتحنيط، بل إن ما يهمني فقط هو مسألة : من وضع فكرة الانبعاث الجسدي في رؤوس أولئك الوثنيين ؟ ومن أين أتت الفكرة الجريئة الأولى

والقائلة بأن الجثة المحفوظة في مكان شديد الأمان يمكن إعادتها الى الحياة بعد آلاف السنوات ؟ إن عقدة الإنعاش الغريبة هذه لم تدرس حتى الآن إلا من وجهة نظر دينية فقط ولكن ماذا لو فرضنا أن الفرعون الذي كان بالتأكيد أكثر معرفة بطبيعة وعادات والآلهة، من رعيته كان من الممكن أن يمتلك هذه الأفكار المجنونة؟ وقال في نفسه : يجب أن أبني لنفسي مدفنة لا يمكن تدميره لآلاف السنوات ويكون مرئية عبر البلاد لقد وعدتني الآلهة بالعودة وإيقاظي من موتي أو أن الأطباء في المستقبل البعيد سوف يكتشفون طريقة لإعادتي الى الحياة مرة أخرى ماذا نقول في ذلك ونحن في عصر الفضاء؟

في كتابه الذي يحمل عنوان منظور الخلود المنشور عام 1965 يقترح الفيزيائي الفلكي روبرت إتجر طريقة تمكننا ، نحن أناس القرن العشرين ، من تبريد أنفسنا بحيث تبقى خلايانا قادرة على الاستمرار في الحياة ، طبية ، وبيولوجية، ولكن مع إبطاء حياتنا بمقدار بليون مرة

في الوقت الحالي قد تكون هذه الفكرة لا تزال تبدو خيالية ، ولكن في الحقيقة، إن كل مستوصف اليوم يمتلك بنكاً للعظام Bone

–

bankتحفظ فيه العظام البشرية في حالة تجمد شديد لعدة سنوات بحيث تكون جاهزة لإعادة استعمالها عند الحاجة إن الدم الطازج - وهو إجراء شائع أيضاً - يمكن حفظه لفترة غير محددة من الزمن في درجة حرارة /191 - / ويمكن تخزين الخلايا الحية لفترة تكاد تكون غير محددة في درجة حرارة الآزوت النتروجين السائل فهل كان الفراعنة يمتلكون تلك الفكرة الخارقة التي تحققت عملية على الفور ؟ هنا يجب عليكم أن تقرأوا ما سأورده فيما يلي مرتين لكي تستوعبوا التطبيقات العملية الخارقة لنتائج الفقرة التالية من البحث العلمي في آذار ١٩٩٣ أكد علماء الأحياء البيولوجيا في جامعة اوكلاهوما أن خلايا جلد الأميرة المصرية ميني Meneكانت لا تزال تحمل إمكانية العودة للحياة والأميرة ميني هذه كانت قد توفيت منذ بضعة آلاف من السنوات لقد تم العثور على مكتشفات في أماكن كثيرة لمومياءات لا تزال محفوظة تماما ولم يطرأ عليها أي تغيير بحيث تبدو وكأنها حية إن المومياءات الجليدية التي خلفها الإنكا وراءهم قد بقيت كما هي على مر العصور ، وهي من الناحية النظرية لا تزال قادرة على الحياة هل هذا خيال ؟ في صيف ١٩٩٠ عرض التلفزيون الروسي اثنين من الكلاب التي تم تبريدها تبريدة شديدة لمدة أسبوع في اليوم السابع أذيب الجليد عنها وكانت المفاجأة انها استمرت في الحياة كما كانت من ذي

قبل إن الأميركيين - وهذا لم يعد سرا - مهتمون جدية ، أو كجزء من برنامجهم الفضائي بمسألة كيف سيبردون رواد الفضاء في المستقبل من أجل رحلاتهم الفضائية الطويلة الى النجوم البعيدة يتنبا البروفسور إتنجر، الذي غالبا ما يكون موضع سخرية في هذه الأيام، بمستقبل بعيد لن يحترق فيه البشر بالنار أو تأكلهم الديدان، مستقبل تقبع فيه الأجساد البشرية مجمدة في مقابر أو في مستودعات شديدة البرودة بانتظار اليوم الذي يصل فيه التقدم في العلوم الطبية الى القدرة على ازالة سبب وفاتهم وإعادة أجسادهم الى حياة جديدة إن المتتبع لتطبيقات هذه الفكرة الطوباوية يمكنه أن يتخيل ذاك المشهد المرعب لجيش من الجنود المتجمدين الجاهزين لإذابة الجليد عنهم عندما تستدعي الضرورة ذلك في حالة الحرب إنها فكرة مرعبة حقا ولكن ما علاقة المومياءات بنظريتنا عن رواد الفضاء في الماضي السحيق ؟ هل تراني أسوق البراهين قسراء هنا أسأل : كيف تسني للقدماء أن يعرفوا أن خلايا الجسم تستمر في الحياة اذا بطئت بمقدار بليون مرة بعد معالجة خاصة ؟ وأسأل : من أين جاءت فكرة الخلود وكيف توصل البشر الى مفهوم الانبعاث الجسدي في المقام الأول؟ إن غالبية الشعوب القديمة كانت تعرف تقنية التحنيط ، وكان الأغنياء يمارسونها فقط لست معنية هنا بهذه الحقيقة التي يمكن اثباتها ، بل إنني معني بحل مسالة إلى

أين تعود فكرة الانبعاث ، العودة الى الحياة هل خطرت الفكرة لملك أو لأمير قبيلة بمحض الصدفة، أم هل إن مواطنة ثرية كان يراقب «الألهة» وهي تعالج الجثث بعملية معقدة وتحفظها في توابيت حجرية مضادة للقنابل أم هل إن بعض الألهة أو رواد الفضاء قد نقلوا معارفهم عن كيفية إحياء الجثث بعد معالجة خاصة الى أمير سريع البديهة من سلالة ملكية؟ إن هذه التخمينات تتطلب إثباتا من مصادر معامرة ففي خلال عدة مئات من السنوات سوف تمتلك البشرية البراعة في رحلات الفضاء الأمر الذي يعتبر اليوم غير قابل للتصور إن وكالات السفر سوف تنظم رحلات الى الكواكب بمواعيد دقيقة للانطلاق والعودة مدونة في كراساتها الخاصة لا يخفى على أحد أن الشرط الأساسي للوصول الى هذه البراعة هو أن تظل كافة فروع العلم مسايرة لتطور رحلات الفضاء فالالكترونيات والسبرنتيك لوحدهما لن يفيا بالمطلوب إن الطب والبيولوجيا سوف يساهمان في الموضوع عن طريق اكتشاف وسائل إطالة أمد الوظائف الحيوية للكائنات البشرية وهذا الجزء من أبحاث الفضاء يسير أيضا بسرعة حثيثة في هذه الأيام هنا يجب أن نسأل أنفسنا: هل كان رواد الفضاء في ما قبل التاريخ يمتلكون تمام تلك المعرفة التي يتعين علينا أن نكتسبها مجددا؟ هل كانت المخلوقات الذكية المجهولة تعرف تماما الطرق التي تعالج بموجبها الأجسام بحيث تكون

قابلة للإحياء في زمن قدره س ألف سنة؟ ربما كانت والآلهة، التي تتسم بالدهاء مهتمة بحفظه إنسان ميت واحد على الأقل يحمل كل معارف عصره بحيث يمكن استطاقه في يوم ما حول تاريخ جيله؟ من يدري؟ اليس ممكنا أن يكون مثل هذا الاستجواب قد قامت به» الآلهة، العائدة ؟ على مدى القرون الغابرة كان التحنيط هو الطريقة الدارجة المؤدية الى ذلك، حيث كان التحنيط ، بالأصل، مسألة دينية وفجأة صار الجميع يرغبون في الانبعاث بعد الموت، وفجأة صار الجميع يؤمنون بأنهم سوف يعودون الى الحياة الجديدة طالما فعلوا نفس ما فعله أسلافهم إن كبار الكهنة الذين كانوا فعلا يمتلكون شيئاً من المعرفة بهذا الانبعاث قد فعلوا الكثير لتشجيع هذه العبادة لأن طبقتهم كانت تستفيد منها كثيرا

لقد سبق لي أن ذكرت أعمار الملوك السومريين المستحيلة طبيعية والأرقام التوراتية المقابلة لها وتساءلت عما إذا كان من غير الممكن أن يكون أولئك البشر رواد فضاء قاموا بإطالة أعمارهم من خلال ظاهرة انزياح تمدد الزمن اثناء التحليقات بين النجوم بسرعة تقل قليلا عن سرعة الضوء - هل من المحتمل أن نحصل على دليل يقودنا الى العصر اللامعقول لأولئك البشر المذكورين في النصوص القديمة اذا ما قبلنا بفرضية أنهم كانوا يحنطون أو بردون و لو اتبعنا هذه النظرية فمعنى ذلك أن رواد الفضاء المجهولين

كانوا قد بردوا شخصيات قيادية في الماضي السحيق بأن وضعوهم في حالة سبات عميق ـ كما تروي لنا الحكايات الأسطورية وأخرجوهم من الأدراج وأذابوا الجليد عنهم ثم تحادثوا معهم خلال زيارات متتابعة في نهاية كل زيارة كان يمهد الى طبقة الكهنة المنتقاة والمدربة من قبل رواد الفضاء بإعادة تحضير الأموات الأحياء وحفظهم مرة أخرى في معابد ضخمة إلى أن تعود الآلهة مستحيل ؟ مضحك؟ اغلب الظن أن أولئك الناس الذين يشعرون بأنهم مقيدون تقييداً مطلقاً بقوانين الطبيعة هم الذين يصوغون أغبي الافتراضات الا تكشف الطبيعة ذاتها عن أمثلة ساطعة على السبات والانبعاث ؟ ثمة أنواع من السمك يمكن تجميدها الى درجة التيبس، وبعد أن يذاب الجليد عنها تبدأ بالسباحة بمجرد انتقالها الى الماء المعتدل الحرارة إن الأزهار واليرقات والدويدات لا تدخل في حالة سبات فحسب، بل إنها تعاود الظهور في حلة جميلة جديدة دعوني أكون المدافع عن قضيتي الخاسرة حبأ بالجدل ليس إلا هل تعلم المصريون مهارة التحنيط من الطبيعة؟ إذا كان الجواب بالإيجاب فلابد أنه كانت توجد عبادة الفراشات أو الخنافس البيضاء، أو على الأقل، لابد من وجود أثر لمثل هذه العبادة ليس هناك أي شيء من هذا القبيل إن الأضرحة التحت ـ أرضية تحتوي على توابيت هائلة الحجم تضم حيوانات محنطة ، ولكن نظرا للمناخ الذي كان

يعيش فيه المصريون فإنهم لم يتمكنوا من الحصول على سبات مماثل لسبات الحيوانات - على بعد خمسة أميال من حلوان يقع أكثر من 50 00 ضريح من مختلف الأحجام ، وكلها تعود في تاريخها الى عهد السلالتين الأولى والثانية وتظهر هذه القبور أن عمر فن التحنيط يبلغ أكثر من 6000 سنة - في عام 1953 اكتشف البروفسور إمري ضريحا ضخما في المقبرة المجهولة في شمال ساكارا تعود الى فرعرن السلالة الأولى ربما يكون اواديس وعلى مقربة من الضريح الرئيسي يوجد ٧٢ ضريحا آخر مرتبة في ٣ صفوف وتتوضع فيها جثث الخدم الذين كانوا يرغبون في مرافقة ملوكهم الى الآخرة ولم يشاهد أي أثر للعنف على أجسادهم والتي كان عددها تحديدا 14 شابة و ٨ شابات فلماذا سمع هؤلاء ال ٧٢ لأنفسهم بأن يحبسوا ضمن الجدران ويقتلوا ؟ - إن الإيمان بوجود حياة ثانية ما بعد القبر هو أفضل وأبسط تفسير معروف لهذه الظاهرة فبالإضافة الى الذهب والمجوهرات كان الفرعون زود في ضريحه بالقمح والزيت والبهارات التي كان القصد منها ، كما هو واضح ، أن تكون مؤونة له في حياته الآتية وبغض النظر عن لصوص المقابر فإن الأضرحة كانت تفتح أيضا من قبل الفراعنة الذين يأتون من بعده في مثل هذه الحالات كان الفرعون يجد المؤن في ضريح سلفه محفوظة على أحسن ما يرام بمعنى آخر ، إن الرجل

الميت لا يكون قد أكلها ولا أخذها معه الى العالم الآخر وعندما كان يعاد إغلاق الضريح كانت توضع في الدهليز مؤن طازجة تغلف جيدا وتحرس من اللصوص وتحكم حمايتها بكثير من الأفخاخ يبدو جليا أن المصريين كانوا يؤمنون بالانبعاث في المستقبل البعيد ولا يؤمنون بالانبعاث الفوري في فترة قريبة في حزيران ١٩٥٦ ، وفي ساكارا أيضأ، تم اكتشاف ضريح لم يكن قد تعرض للنهب بدليل أنه تم العثور على صدر مزين بالجواهر والذهب مرمية في حجرة الدفن كان التابوت مغلفة بغطاء منزلق بدلا من إغلاقه بغطاء قابل للنزع في التاسع من حزيران قام الدكتور /غنيم / بفتح التابوت في جو شعائري مهيب ، فوجد أنه لا يحوي شيئا لاشيء على الإطلاق فهل كان المومياء قد رحل تاركا جواهره؟ - اكتشف الروسي رودنكو قبرا يدعى كورجان ٧ على بعد 50 ميلا من حدود منغوليا الخارجية يتخذ هذا القبر شكل هضبة صخرية وله سطوح داخلية مغلفة بالخشب كانت كل حجرات الدفن محاطة بجليد دائم، ونتيجة لذلك فإن محتويات القبر كانت محفوظة في حالة تجمد شديد وكانت إحدى هذه الحجرات تحتوي على رجل محنط وامرأة تمت معالجتها بنفس الشكل وكانا، كلاهما، مزودين بكل ما يمكن أن يحتاجا إليه في الحياة الآتية : أطعمة موضوعة في أطباق ، ملابس، ومجوهرات، وآلات موسيقية، وكلها في

حالة تجمد شديد وفي حالة ممتازة من المصونية بما في ذلك المومياء العارية في حجرة دفن واحدة ميز العلماء مستطيلاً يضم أربعة صفوف من ستة مربعات ، كل واحد منها يوجد في داخله لوحة أما المستطيل بكامله فيمكن أن يكون نسخة عن البساط الحجري الموجود في القصر الآشوري في نينوى وثمة أشكال غريبة شبيهة بأبي الهول ذات قرون معقدة على رؤوسها وأجنحة على ظهورها واضحة للعيان ، كما أن وقفتهم تدل على أنهم يتطلعون نحو السماء لكن الدوافع إلى حياة روحية ثانية يصعب ايجادها بناءا على المكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها في منغوليا إن التبريد الشديد المستخدم في القبور هناك ـ بحيث تكون الحجرات مغلفة بالخشب ومملوءة حتى آخرها بالجليد إنما يعجز عنه عالمنا المعاصر ، ومن الواضح أن الهدف منه هو لغايات دنيوية فلماذا ـ وهو ما س ظل يقلقنا كان القدماء يؤمنون بأن الأجساد المحضرة بهذه الطريقة تحقق الحالة التي تجعل الإحياء ممكنأه إن هذا سيبقى لغزا قائمة على مر العصور في قرية صينية تدعى وو تشوان يوجد ضريح مستطيل الشكل يبلغ طوله 40 قدمة وعرضه ٢٩ قدما، وفي داخله تستلقي هياكل عظمية ل ١٧ رجلا و ٢٦ امرأة وهنا أيضا لا يبدي أي من هذه الهياكل العظمية أية علامة من علامات الموت العنيف ثمة أضرحة في نهر جليدي ، وأضرحة

جليدية في سيبيريا ، وقبور جماعية وفردية في الصين وسومر ومصر وعثر على المومياءات في أقصى شمال وجنوب أفريقيا وكان كل الأموات مزودين بالحاجات اللازمة لحياة جديدة، وكانت كل الأضرحة مخططة ومبنية بحيث تبقى هكذا لآلاف السنوات فهل هذا كله مجرد صدفة؟ وهل هي كلها مجرد تخيلات فردية، أو نزوات غريبة من جانب أسلافنا ؟ أم هل ثمة وعد قديم بالعودة الجسدية لايزال مجهولا بالنسبة لنا؟ من هو الذي يمكن أن يكون قد أعطى هذا الوعد؟ تم الكشف عن بعض الأضرحة التي يبلغ عمرها ٨٠٠٠ سنة في أريحا، كما تم العثور على عدد من الرؤوس التي يبلغ عمرها ٨٠٠٠ سنة تم تشكيلها من جص باريس وهذا ما يثير الدهشة أيضا، لأنه من المعروف ظاهرية أن هؤلاء البشر لم يكونوا يعرفون تقنيات صناعة الفخار في جزء آخر من اريحا تم اكتشاف صفوف من البيوت المستديرة حيث كانت الجدران منحنية باتجاه الداخل على شكل قباب إن نظير الكربون C14 الكلي القدرة الذي يمكن الاستعانة به لتحديد عمر المواد العضوية يكشف لنا في هذه الحالة عن تاريخ موغل في القدم يعود إلى /١٠400/ عام وهذه التواريخ المحددة علمية تتفق اتفاقا تاما تقريبا مع التواريخ التي نقلها لنا الكهنة المصريون فقد ذكر هؤلاء أن أسلافهم الكهنوتيين قد أدوا واجباتهم لأكثر من /١١٠٠٠ /عام فهل هذه صدفة أيضاً

؟تعتبر حجارة ما قبل التاريخ في لوساك بواتو ـ فرنسا لقى أثرية ملفتة للنظر ذات أهمية خاصة فهي تكشف عن رسوم لرجال يرتدون زية حديثة تماما مكونة من قبعات وجاكيتات وسراويل قصيرة يقول الأب برويل أن الرسوم موثقة ، كما أن إفادته ترمي بكل ما قبل التاريخ في غياهب الغموض والالتباس من نقش تلك الحجارة من كان يمتلك من الخيال ما يكفي لأن يتصور انسان الكهوف يرتدي جلود الحيوانات ويرسم على الجدران أشكالا من القرن العشرين؟ في عام 1940 تم العثور على بعض رسوم العصر الحجري المدهشة حقا في كهوف لاسكو في جنوب فرنسا إن الرسوم الموجودة في دهليز هذا الكهف لاتزال سليمة وتنبض بالحياة كما لو كانت من رسوم اليوم، وهنا يتبادر الى الذهن فورا سؤالان : كيف تمت إنارة هذا الكهف من أجل فناني العصر الحجري لكي يقوموا بهذا العمل الشاق، ولماذا تمت زخرفة الجدران بهذه الرسوم المذهلة ؟ لندع أولئك الذين يعتبرون هذه الأسئلة غبية يفسرون التناقضات فلو كان سكان الكهوف في العصر الحجري بدائيين ومتوحشين لما كان بمقدورهم أن ينتجوا تلك اللوحات الأسرة على جدران الكهوف ولكن اذا كان أولئك المتوحشون يمتلكون القدرة على رسم هذه الصور فلماذا لم تكن لديهم القدرة أيضا على بناء الأكواخ لكي يلتجئوا بها؟ إن معظم الخبراء المعنيين

يقرون بأن الحيوانات كانت لها القدرة على بناء الأعشاش والملاجئ منذ ملايين السنوات ولكن من الواضح أنه مما لا ينسجم مع فرضية العمل هذه أن نعترف للجنس البشري بامتلاك نفس القدرة منذ زمن طويل كهذا - في صحراء غوبي وفي الأعماق السحيقة تحت خرائب خاراخونا وعلى مسافة غير بعيدة عن تلك التبلورات الرملية الغريبة التي لا يمكن أن تحدث إلا تحت تأثير الحرارة الهائلة عثر البروفسور كوسلوف على ضريح يعود تاريخه إلى /١٢٠٠٠/ سنة قبل الميلاد فقد وجد تابوتا يحتوي على جثماني رجلين ثريين واشارة دائرة مقسومة شاقولية إلى قطاعين ومرسومة على التابوت - في السوبيس على الساحل الغربي لبورنيو تم العثور على شبكة من الكهوف المجوفة على شكل كاتدرائية ومن بين اللقى الأثرية الهائلة وجدت منسوجات ذات نعومة ورهافة ودرجة عالية من الجودة لا يمكن للمرء أن يتصور أنها من صنع المتوحشين تبدأ الشكوك الأولى بدس نفسها في النظرية الأركيولوجية المقولبة ، ولكن ما نحتاج للقيام به هو أن نحدث خروقات في أدغال الماضي إذ لابد من إعادة تحديد نقاط العلام حيث يتعين إقامة سلسلة جديدة من التواريخ الثابتة كلما أمكن ذلك دعوني أوضح الأمر بالقول أنني لا أشك هنا بتاريخ الألفي سنة الأخيرتين بل إنني أتحدث بشكل خاص وفريد عن أقدم عصور الماضي

السحيق، عن أكثر عصور الزمن اسودادة وظلامية وأسعى الى تسليط الضوء عليها عن طريق طرح الأسئلة الجديدة وليس بمقدوري إعطاء أية أرقام أو تواريخ تبين متى بدأت زيارة المخلوقات الذكية المجهولة من الكون بالتأثير على مخلوقاتا الذكية الفتية ولكني سوف أغامر بالشك في صحة التواريخ الراهنة المنسوبة الى الماضي السحيق وأقترح، بناءا على أسس متينة وجيدة، وضع الحدث الذي يهمني هنا في سياق الحقب الباليوليثي المبكر ، أي ما بين /١٠٠٠٠ /و/ ٠٠٠ 40 سنة قبل الميلاد إن أساليبنا القائمة في التاريخ، بما في ذلك استخدام نظير الكربون الذي يرضي الجميع، تترك ثغرات كبيرة عندما تأتي على دراسة عصر يعود الى أكثر من /٥٠٠٠/سنة فكلما كانت المادة الخاضعة للفعص أعمر قلت إمكانية الاعتماد على طريقة الكربون المشع لا بل إن علماء مرموقين قد أخبروني أنهم يعتبرون طريقة الكربون المشع غير موثوقة الى حد ما لأن المادة العضوية التي يتراوح عمرها ما بين/ ٢٠٠٠٠ /و/٥٠٠٠٠ /نة لا يمكن تحديد عمرها في أي مكان ضمن هذا المجال إن هذه الأصوات النقدية يمكن قبولها ضمن تحفظات؛ إذ لا حاجة بنا للقول أنه من الأفضل ايجاد طريقة ثانية موازية لطريقة الكربون المشع في التأريخ تستند الى أحدث أجهزة القياس فقد أطلق عليه أحد العلماء لقب المنزل الكبير لأنه لم يكن يملك

القدرة على مناقشة نظريته مع دزينة أو أكثر من معاصريه - بعد هذه النزهة القصيرة في الحقول المجهولة لتناقل الخواطر ووظائف الدماغ البشري دعونا نعد الى فكرتا الأصلية لم يعد سرا أنه من عام 1961 قام أحد عشر خبيرا في المرصد الفلكي الراديوي الوطني في جرين بانك بفرجينيا الغربية بعقد مؤتمر سري وهنا أيضاً كانت فكرة المؤتمر تدور حول مسألة وجود كائنات ذكية خارج الأرض وقد أجمع العلماء المشاركون ونذكر منهم جوزيبه كوكوني و د شوهوانغ و د فيليب موريسون و د فرانك درايك ود أوتو شتروفه ود كارل ساجان، بالإضافة الى ملفين كالفين الحائز على جائزة نوبل، في نهاية المؤتمر على ما يعرف باسم صيغة جرين بانك وتبعا لهذه الصيغة يوجد في مجرتنا وحدها، وفي أي وقت من الأوقات ، خمسون مليونا من الحضارات المختلفة التي تسعى لإقامة اتصال معنا أو تقبع بانتظار اشارة من كواكب أخرى إن بنود صيغة غرين بانك تأخذ بعين الاعتبار كل جونب المسألة، ولكن بالإضافة الى ذلك، فقد وجد العلماء قيمتين لكل طرف من طرفي المعادلة الصيغة : قيمة طبيعية نظامية ومقبولة حسب المعطيات الحالية وقيمة مطلقة دنيا متوسط العدد السنوي للنجوم الجديدة التي تشبه شمسنا ان تلتقي ببعضها البعض قاطعة مسافات شاسعة في الكون إذا أخذنا الحد الأدني للقيم الممكنة لكل بنود هذه المعادلة

نجد N = 40 ا ولكن اذا أخذنا القيم العظمى المسموح بها نجد | N| = 50000000بعبارة أخرى ، في أكثر حالات صيغة غرين بانك سلبية نصل الى نتيجة مفادها أنه يوجد في مجرة درب التبان أربعون مجموعة من المخلوقات الذكية التي تسعى الى الاتصال مع المخلوقات الذكية الأخري إن الاحتمال الأكثر جرأة يقول بوجود ٥٠ مليونا من المخلوقات الذكية المجهولة التي تنتظر إشارة من الكون لا تستد حسابات غرين بانك في مجملها على أرقام فلكية راهنة وإنما على عدد النجوم في مجرة درب التبان منذ أن وجدت إذا قبلنا هذه المعادلة قبول الواثق بالدماغ العلمي، فإن حضارات ذات تكنولوجيات أكثر تقدما من تكنولوجيتنا يمكن أن تكون قد وجدت منذ مئات الآلاف من السنوات، وهي حقيقة تدعم النظرية المقدمة هنا حول حدوث زيارات قامت بها آلهة، من الكون في فجر التاريخ يؤكد لنا عالم الأحياء الفلكية د ساجان أنه تبعا للحسابات الإحصائية وحدها يوجد احتمال بأن تكون أرضنا قد تلقت زيارات قام بها ممثلون لحضارة من خارج الأرض لمرة واحدة على الأقل على مدى تاريخها إن الأحكام الجاهزة والفرضيات قد تخفي وراءها نوعا من الخيال ـ والتمني ، ولكن معادلة غرين بانك هي معادلة رياضية تمكننا من تحديد عدد النجوم التي يحتمل أن توجد الحياة عليها إن العلم الذي يعرف باسم علم الأحياء الكونية هو فرع

جديد من فروع العلوم والفروع الجديدة في العلم تجد دائما صعوبة في نيل الاعتراف بها وسيجد علم الأحياء الكونية بالتأكيد صعوبة أكبر في انتزاع القبول به لو لم تكن هناك شخصيات مرموقة قد نذرت جهودها لهذا المجال الجديد من البحث العلمي الذي يعالج الحياة خارج الأرض بتجرد تام وهل هناك برهان على جدية هذا العلم الجديد أفضل من وجود هذه المجموعة من الأسماء المساهمة - : الدكتور فريمان كويمبي رئيس برنامج وكالة الفضاء الأميركية الخاص بعلم الأحياء الكونية - الدكتورة ايرا بيلي من وكالة الفضاء الأميركية ناسا - الدكتور جوشوا ليدربرج ناسا و د لب شميث ناسا -الدكتور ريتشارد يونغ ناسا و د ادروارد بورسل أستاذ الفيزياء في جامعة هارفارد، د دي كاج ناسا د هس براون معهد التكنولوجيا بكاليفورنيا - درن برايسولز معهد الفلك الراديوي- ستاندفورد - الدكتور تاونز حائز على جائزة نوبل للفيزياء لعام 1964 - الدكتور ي د شكلوفسكي معهد شترنبرغ - موسكو - الدكتور نس كارداشيف معهد شترنبر -السير برنارد لوفيل بنك جودرل - الدكتور فيرنر فون براون مدير برنامج صاروخ ساتورن الأميركي -البروفسور د اويرت، أستاذ فون براون - البروفسور د شتولينغر، والبروفسور د زانفر وغيرهم الكثير هذه الأسماء تمثل آلاف كثيرة من علماء الأحياء الكونية على امتداد العالم وتتلخص رغبة كل

هؤلاء الناس في خرق المحرمات وهدم جدران حالة السبات التي لا تزال تحيط حتى الآن بالمناطق القاحلة من البحث العلمي التي أفردنا لها بعضا من فصول هذا الكتاب إن علم الأحياء الكونية ينهض في وجه كل المعارضات وقد يصبح هذا العلم ذات يوم المجال الأكثر إثارة وأهمية ضمن مجالات البحث العلمي ولكن كيف يمكن ايجاد البرهان على وجود الحياة في الكون قبل أن يوجد أي انسان ما ؟ ثمة إحصائيات وحسابات تؤيد بالتحديد فكرة وجود حياة خارج نطاق الأرض وهناك إثبات على وجود البكتريا والأبواغ في الفضاء لقد بدأ البحث عن المخلوقات الذكية المجهولة ولكنه لم يؤد الى نتائج مقنعة وقابلة للقياس والبرهان إن ما نحتاجه هو وجود إثباتات للنظريات وبراهين للفرضيات التي لاتزال حتى اليوم تعتبر غير قابلة للحياة لأنها طوباوية تمتلك وكالة الفضاء الأميركية برنامج جاهزة للأبحاث يهدف الى ايجاد الدليل على وجود حياة مجهولة في الكون فهناك ثمانية مسابر مختلفة ، كل واحد منها فريد في نوعه وتعقيده ومهمة هذه المسابر هي الكشف عن دليل على وجود الحياة على كواكب مجموعتنا الشمسية وهذه فيما يلي أسماء هذه المسابر المصممة - : بروفيلات التبدد الدوراني البصري - المسبار البيوكيميائي باستخدام النظائر المشعة - المسبار المتعدد المهام - ميكروسكوب فيديكون - كاشف الحياة- J Band

المقياس الطيفي للكتلة - مصيدة وولف - المقياس الضوئي الطيفي بالأشعة فوق البنفسجية ويكفي مجرد لمحات موجزة عما تخفيه هذه الأسماء التقنية التبديد الشك المضاعف لدى رجل الشارع العادي : او بروفيلات التبدد الدوراني البصري وهو الاسم الذي يطلق على مسبار مخبري ذي ضوء كاشف دوار وما إن يهبط هذا المسبار على كوكب ما حتى يبدأ هذا الضوء بابتعاث الأشعة والبحث عن الجزيئات فالجزيئات كما هو معروف جيدة هي الشرط الأولي لكل اشكال الحياة وأحد هذه الجزيئات هو جزيء DNAالحلزوني العملاق الذي يتكون من ثلاث روابط كيميائية مرتبة مع بعضها جنبا الى جنب هي : القاعدة القلوية الآزوتية والسكر وحمض الفوسفور عندما يصطدم الضوء المستقطب بجزيء السكر ينقطع الشعاع الكاشف لأن الأدينين ذا القاعدة الآزوتية وبالاتحاد الكيميائي مع السكر يصبح ذات تأثير موجب بصريا وبما أن رابطة السكر في جزيء DNA موجبة بصرياً ، فإنه يكفي لشعاع المسبار الكاشف أن يصادف رابطة آدينين - سكر لكي يعطي إشارة فورية ترسل اوتوماتيكية الى الأرض، ومن شأن هذه الإشارة أن تعطي البرهان على وجود الحياة على كوكب مجهول

٢ -المسبار متعدد المهام وهو عبارة عن مسبار يزن حوالي ليبرة واحدة يحمل على صاروخ لكونه خفيف الوزن ويقذف عند الاقتراب من الكوكب

إن هذا المختبر المصغر في وضع يؤهله للقيام بخمس عشرة تجربة وإرسال نتائجها الى الأرض

٣ -المسبار البيوكيميائي باستخدام النظائر المشعة وهو الاسم الرسمي لمسبار تم تطويره تحت اسم مستعار هو جوليفر، والهدف منه هو القيام بهبوط سهل على سطح كوكب آخر ومن ثم إطلاقه ثلاثة حبال لزجة يبلغ طول الواحد منها 40 قدما في اتجاهات مختلفة ثم تسحب هذه الحبال اوتوماتيكية الى المسبار في خلال دقائق قليلة وكل ما يتبقى عالقة بالحبال كالغبار والميكروبات أو أي نوع من المواد البيوكيميائية يغمر في وسط استبات سائل يزود قسم محلول الاستنبات بنظير الكربون المشعC14 ، وحيث أن المتعضيات المخبرية التي تدخل في المستنبت ستعمل بشكل منطقي على إطلاق غاز ثاني اوكسيد الكربون Co2 الناتج عن عمليات الاستقلاب ، يفصل غاز ثاني أوكسيد الكربون بسهولة عن المستنبت السائل ويوجه الى جهاز يقيس النشاط الاشعاعي للغاز الحاوي على نواة CD4ويبث النتائج بالراديو الى الأرض 4 مصيدة وولف وهو جهاز آخر طورته ناسا للبحث عن الحياة خارج الأرض إن هذا المختبر المصغر كان يسمى كاشف البق وهو الاسم الذي أطلقه عليه مخترعه الأصلي ولكن

زملاءه غيروا اسمه ليصبح مصيدة وولف نسبة إلى رئيسهم الذي يدعى وولف فيشنياك لقد تم تصميم مصيدة وولف أيضا للقيام بهبوط سهل على كوكب آخر ومن ثم القيام بمد أنبوب مفرغ من الهواء ذي غطاء هش جدا عندما يلامس الأنبوب أرض الكوكب ينكسر الغطاء فيقوم الأنبوب بشفط عينات من التربة من كل الأصناف الى داخل الفراغ الحاصل

هنا ايضا، نجد أن المسبار يحتوي على عدة أوساط استنبات معمقة تكفل لكل نوع من أنواع البكتريا نموا سريعة إن تكاثر البكتريا يجعل الوسط السائل عكرا كما تتبدل قيمة للسائل درجة الحموضة يمكن قياس هذين التغيرين بسهولة ودقة؛ فتعكر السائل يقاس بالاستعانة بشعاع الضوء وخلية ضوئية ، أما قياس تبدل نسبة الحموضة فيتم بمقياس كهربائي إن النتائج الحاصلة تمكننا أيضا من التوصل الى استنتاجات حول وجود حياة مجهولة إن ملايين الدولارات سوف تنفق على برنامج ناسا والأبحاث الخاضعة لها من أجل التقصي عن وجود الحياة خارج الأرض والبرهان عليه سوف يتم إرسال المعابر الحيوية - إلى المريخ ومما لا شك فيه أن الإنسان سوف يلتحق بهذه المخابر المصفرة التي تعتبر بمثابة رواد استطلاع إن كبار موظفي الناسا يجمعون على القول بأن أول رواد الفضاء سيهبطون على المريخ بحلول ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٨٩ على الأقل ولهذا

الموعد الدقيق ما يبرره ، اذ ان عام ١٩٨٩ سيكون عاما يتميز بأقل قدر من النشاط الشمسي يؤيد الدكتور فون براون وجهة النظر القائلة بأن الإنسان يمكنه الهبوط على سطح المريخ قبل هذا التاريخ بوقت مبكر وليكن عام ١٩٨٢ فوكالة الفضاء الأميركية لا تنقصها الموارد التقنية ولكن ما تحتاج اليه هو الدعم المالي الكافي والمستمر من الكونجرس الأميركي وبالإضافة الى ذلك، فإن المسؤوليات الراهنة للولايات المتحدة المتمثلة في وجود بالوعتين للمال هما حرب فييتام وبرنامج الفضاء تعتبر عبا ثقيلا على كاهل أغنى أمة في العالم

إن خطة السفر الى المريخ موجودة وجاهزة وقد تم تصميم المركبة الفضائية التي ستنطلق الى المريخ ولا تحتاج سوى التصنيع والبناء فهناك نموذج مصغر لها ينتصب على طاولة مكتب رجل غير عادي في هنتسفيل هو البروفسور ارنست شتولينجر وشتولينجرهو مدير مخبر مشروع الأبحاث الذي هو جزء من مركز جورج مارشال للتحليق الفضائي في هنتسفيل بالاما إنه يستخدم أكثر من مئة عالم يشارك في مختبراته ففي هذه المختبرات يجرون التجارب في مجال فيزياء البلازما والفيزياء النووية والفيزياء الحرارية كما أن العلماء منهمكون في الأبحاث الأساسية الخاصة

بالمشاريع الموجهة الى المستقبل إن الأبحاث الخاصة بالمحرك الصاروخي الكهربائي المستقبلي ترتبط الى الأبد باسم الدكتور شتولينغر ؛ فهو مصم المركبة الفضائية المريخية التي ستحمل بشرة الى الكوكب الأحمر في هذا القرن انتقل الدكتورشتولينجر بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة الى الولايات المتحدة برفقة صديقه فرنر فون براون وقاما في فورت بليس بصنع الصواريخ لصالح القوات الجوية الأميركية وبعد اندلاع الحرب الكورية انتقل الاثنان برفقة ١٩٢ شخص من مواطنيهما الى هنتسفيل للتحضير لمشروع لم يسبق لأمريكا أن شهدت مثيلا له

في تلك الأيام كانت هنتسفيل عشا ناعسأ صغيرا على حافة جبال آلاباكيا ومع وصول رجال الصواريخ تحولت بلدة القطن الصغيرة هذه الى حلبة سيرك فنهضت فيها المصانع ومنصات تجريب الصواريخ والمختبرات والهنكارات العملاقة والبراكات المعدنية المتراصة بسرعة تقطع الأنفاس في خلال سنوات قليلة ويعيش حاليا في هنتسفيل وحدها أكثر من خمسة عشر ألف نسمة لقد استفاقت هذه البلدة الصغيرة من نومها وأصبح سكانها من أنصار الفضاء المتحمسين عندما انطلقت صواريخ ردستون لأول مرة من منصة التجريب هرب الكثير من سكان البلدة مذعورين الى الأقبية أما اليوم فعندما يتم تجريب صاروخ ساتورن ويملأ الجو بالدوي كما لو أن القيامة

على وشك أن تقوم، فإن ذلك لا يثير انتباه أحد من السكان إن أهالي البلدة يحملون كمامات الأذن معهم بشكل دائم مثلما يحمل اللندنيون المظلات وهم يطلقون على مدينتهم ببساطة اسم مدينة الصواريخ»، واذا رفض الكونغرس منح مئات آلاف من ملايين الدولارات اللازمة للرحلات الفضائية فإن مزاجهم يتعكر ويبدأون بإثارة الرأي العام يمتلك أهالي هنتسفيل كل المبررات للإعتزاز بالألمان الموجودين لديهم ولدى وكالة الفضاء الأميركية، لأن مدينتهم أصبحت أكبر مركز تابع للوكالة على الإطلاق فهنا يتم اختراع وتصميم الصواريخ المنتشرة في كل أنحاء العالم بدءا من صاروخ روستون الصغير وانتهاءا بصاروخ ساتورن 5 العملاق وقد أنفقت الولايات المتحدة الأميركية حتى الآن حوالي ١٠ مليارات من الدولارات على ما يعرف باسم برنامج الأقمار وبلغت تكاليف صواريخ ساتورن 5 البالغ عددها 15 صاروخا ١٥٠ مليون جنيه استرلينيا تملأ خزانات الوقود عند الإطلاق بحوالي ٨٨٠ الف جالون من الوقود الباهظ الثمن الذي يولد قوة دفع قدرها ١٥٠ مليون حصان يزن الصاروخ العملاق حوالي ٢٠٠٠ طن يوجد في هنتسفيل ٧٠٠٠ تقني ومهندس وعالم في المجالات المتعلقة بموضوع الصواريخ يعملون تحت اشراف فرنر فون براون لتحقيق الهدف العظيم، غزو الفضاء في عام ١٩٩٧ كان هناك

حوالي ٣٠٠ ٠٠٠ عالم من مختلف الفئات يعملون في برنامج الفضاء الأميركي ان أكثر من ٢٠٠٠٠ شركة صناعية تعمل لصالح أكبر مشروع علمي في التاريخ لقد أخبرني العالم النمساوي الدكتور شيا أثناء زيارة قمت بها الى هنتسفيل أنه يتعين على فريق البحث العلمي باستمرار أن يطور مواد جديدة لم يسبق انتاجها في أي مكان من العالم قال لي : انظر هنا له وهو يريني اسطوانة ضخمة كان يصدر عنها طنين وصوت قرقعة، وهناك نجري التجارب على التشحيم في الفراغ المطلق هل تعلم أنه ليس بمقدورنا استخدام أي نوع من آلات التشحيم التي لا حصر لها والتي يتم انتاجها في العالم؟ انها تفقد مواصفاتها التشحيمية في الفضاء فباستخدام المشحمات المتوفرة بعجز حتى المحرك الكهربائي البسيط عن القيام بوظيفته بعد انقضاء نصف ساعة في الفضاء الخالي من الهواء ما الذي بإمكاننا أن نفعله سوى أن نخترع مشحمة تعمل بشكل تام في الفراغ المطلق كنت أسمع صريرة وطنينا مرعبين صادرين من غرفة أخرى فقد كانت هناك ملزمتان هائلتان مثبتان الى الأرض بقوة تحاولان تقطيع لوح معدني تبلغ سمكه 4 إنشات الى قطع صغيرة قال الدكتور شيرا : إنها سلسلة أخرى من التجارب التي كان من الممكن الاستغناء عنها، ولكن تبين لنا أن السبائك المعدنية الموجودة لا تتحمل اجهادات الفضاء لذا يتعين علينا أن نبتكر سبائك تحقق

شروطنا وهذا هو السبب في وجود هذه المسابر المقاومة للشد - والمسابر المقاومة للكلال تحت كل الظروف الفضائية التي يمكن تصورها كما ينبغي علينا أن نطور تقنيات لحام جديدة فالوصلات الملحومة يجب تعريضها لاختبارات البرودة والسخونة والارتجاج ومقاومة الشد والانضغاط بحيث يصبح بمقدورنا أن نكتشف الدرجات الحدية لإنكسار الوصلة الملحومة نظرت المضيفة التي كانت ترافقني الى ساعتها ، ونظر الدكتور شيرا الى ساعته وصار الجميع ينظرون الى ساعاتهم إن العاملين في الناسا لم يعودوا يعيرون انتباها لذلك، ولكن الزائر يستبد به الفضول في البداية ثم يعتاد على ذلك في الحال لأن النظر الى الساعة هو بمثابة التحية الأيمائية المتعارف عليها بين العاملين في الناسا في كيب كينيدي وهيوستن وهنتسفيل إذ يبدو أنهم يقومون دائما بالعد التازلي : أربعة - ثلاثة - الشان - واحد - صفر قادتنا سلسلة التطوافات والتجوالات في القاعات والكوريدورات والأبواب، وبعد الكثير من إجراءات الأمن والسلامة الى شخص يدعى السيد باولي، والذي ينحدر أيضاً من أوروبا الناطقة بالألمانية وقد مضى عليه وهو يعمل لصالح الناسا مدة ثلاثة عشر عاما كنت أضع على رأسي خوذة بيضاء عليها شعار الناسا، فاصطحبني السيد باولي الى منصة تجريب صاروخ ساتورن إن عبارة «منصة التجريب» البسيطة تعني

كتلة من الاسمنت المسلح يبلغ وزنها عدة مئات من الأطنان، ويبلغ ارتفاعها عدة طوابق ولها مصاعد وروافع تقود إليها، وهي محاطة بشبكة معقدة من الأسلاك يبلغ طولها عدة أميال عندما يشتعل الصاروخ ساتورن يطلق دويا يمكن سماعه على بعد ١٢ ميلاً من مكان الإطلاق إن منصة التجريب التي تغوص عميقة في الصخر والاسمنت المسلح ترتفع عن قاعدتها بمقدار ٣ إنشات أثناء القيام بمثل هذه التجارب في حين يتم ضخ ٣٣٣٠٠٠ غالون من الماء في كل ثانية عبر فتحة تصريف مخصصة لأغراض التبريد ولمجرد تبريد الصواريخ التجريبية على منصة التجريب كان على الناسا أن تبني منشآت ضخ يمكنها بسهولة أن تزود بماء الشرب مدينة بحجم مانشستر إن كل تجربة إطلاق واحدة يكلف تبريدها ٠٠٠ ٥٠٠ ألف جنيه استرليني : إذا، فالفضاء لا يأتي رخيصة إن هنتسفيل هو أحد المراكز الكثيرة للناسا ولابد للقارئ من الإطلاع على أسماء هذه المراكز لأنها قد تصبح فيما بعد محطات انطلاق لرحلات الفضاء :

مركز أبحاث الجيش ، مونت فيلد ، كاليفورنيا - مركز أبحاث الالكترونيات ، كامبردج، ماساشوسيتش مركز أبحاث الطيران ، ادواردز ، كاليفورنيا - مركز غودارد للطيران الفضائي ، غرينبلت، MD- مختبر الدفع

PROPULSION، باسادينا، كاليفورنيا - مركز جون كينيدي الفضائي، فلوريدا - مركز أبحاث لانغلي، هامبتون - مركز أبحاث ليويس ، كليفلاند، اوهايو - مركز المراكب الفضائية المأهولة، هيوستن ، تكساس - محطة تطوير الصواريخ النووية، جاكاس فلاتس . مكتب عمليات إطلاق المحيط الهادئ، كاليفورنيا - مركز والويس ، جزيرة والوبس - مكتب العمليات الغربي، سانتا مونيكا، كاليفورنيا - المقر الرئيسي لوكالة الفضاء الأميركية ناسا

إن صناعة السفن الفضائية قد تجاوزت منذ زمن طويل صناعة السيارات كمقياس للتقدم في السوق ففي الأول من تموز ١٩٩٧ وحده، كان هناك ٢٢٨٢٨ شخصا يعملون في المركز الفضائي في كيب كينيدي، حيث بلغت ميزانية هذه المحطة لوحدها ٦٧٥٧٨٦٠٠٠ دولار لعام ١٩٩٧ وحده، وكل ذلك لأن حفنة من المجانين يريدون الذهاب الى القمرأعتقد أنني قد قدمت أمثلة مقنعة وكافية عما يؤول اليه البحث في ارتياد الفضاء في يومنا هذا وهذه ليست سوى ثمرات ثانوية بدءا من الأشياء ذات الاستعمال اليومي وانتهاءا بالجهاز الطبي المعقد الذي من شانه إنقاذ أرواح البشر على مدار الساعة وعلى نطاق العالم كله إن التكنولوجيا الخارقة - السائرة

في طريق التطور لم تعد نقمة على الجنس البشري حقا إنها تحمل الجنس البشري الى المستقبل وقد سنحت الفرصة لمؤلف هذا الكتاب لكي يسأل فرنر فون براون عن رأيه في الفرضيات الواردة في هذا الكتاب :س : د فون براون هل تعتقد أنه من الممكن أن نعثر على الحياة على كواكب أخرى في المجموعة الشمسية ؟ ج : أعتقد أنه من الممكن العثور في المستقبل على أشكال دنيا من الحياة على كوكب المريخ س : هل تعتقد أننا لسنا الكائنات الذكية الوحيدة في الكون ؟ ج : أعتقد أنه من المحتمل جدا أن توجد الحياة ليس بشكليها النباتي والحيواني فقط، بل أعتقد باحتمال وجود مخلوقات حية ذكية في الأطراف المترامية للكون إن اكتشاف هذه الحياة هو عمل على درجة قصوى من الإثارة والتشويق ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار المسافات الهائلة بين مجموعتنا الشمسية والمجموعات الشمسية الأخرى والمسافات الأكبر بين مجرتنا والمجموعات المجرية الأخرى، صار من المشكوك فيه أن ننجح في البرهان على وجود هذه الأشكال من الحياة أو في القيام باتصال مباشر معها س : هل يمكن تصور وجود كائنات ذكية أسبق وجودة وأكثر تقدما من الناحية التقنية تعيش أو عاشت في مجرتنا؟

ج : حتى الوقت الحالي لا نملك أي برهان أو دليل على ان كائنات حية

أسبق منا وأكثر تقدما من الناحية التقنية تعيش أو عاشت في مجرتنا ومع ذلك ، وعلى قاعدة الاعتبارات الإحصائية والفلسفية فأنا مقتنع بوجود مثل هذه الكائنات الحية المتطورة ولكن لابد لي من التشديد على أننا ينبغي أن نمتلك الأساس العلمي الثابت لهذه القناعة س : هل ثمة امكانية لأن تكون مخلوقات ذكية أسبق منا قد زارت كوكبنا في الماضي السحيقة ج : ما كنت لأنفي هذه الامكانية ، ولكن حسب معرفتي القصوى لم تقدم أية دراسات اركيولوجية حتى الآن أساساً لمثل هذا النوع من الافتراضات هنا انتهي حواري مع «أبو صاروخ ساتورن» ولسوء الحظ أن المؤلف لم يتمكن من إطلاعه بالتفصيل على الاكتشافات الهامة والسخافات والكتب القديمة التي تركت لنا بمثابة الغاز مستعصية على الحل إن الأسئلة التي لا حصر لها والتي تفرضها علينا اللقى الأثرية ينبغي دراستها من منظور فضائي ولكن الدكتور فون براون بانتظار الحصول على وثائق كافية لكتابه

الفصل الثاني عشر

المستقبل واين نقف اليوم ؟

هل سيهيمن الإنسان على الفضاء ذات يوم؟ وهل إن كائنات مجهولة من أقاصي الكون اللانهائية قد زارت الأرض في الماضي السحيق هل حاولت مخلوقات ذكية مجهولة في مكان ما من الكون أن تقيم اتصالا معنا؟ وهل إن عصرنا باكتشافاته التي تعصف بالمستقبل مرعب حقا؟ هل ينبغي إبقاء نتائج الأبحاث العلمية الأكثر اضرارا بالصحةوالسلامة قيد الكتمان اهل سيكتشف الطب وعلم الأحياء طريقة لإعادة البشر المجمدين الى الحياة؟ هل سيقوم بشر من الأرض باستيطان كواكب جديدة؟ وهل سينسجم هؤلاء مع

السكان الذين يصادفونهم هناك؟ وهل سيخلق البشر أرضاً ثانية وثالثة ورابعة ؟ وهل ستحل الروبوتات الخاصة محل الجراحين ذات يوم؟ هل ستكون المستشفيات في عام ٢٠٠٠ مستودعات قطع غيار للناس الذين يشكون من عطل جسدي؟ هل سيكون بالإمكان في المستقبل البعيد إطالة عمر الإنسان بشكل غير محدود بواسطة القلوب والرئات والكلى الاصطناعية؟ اهل سيتحقق ما ورد في رواية الدوس هكسلي اعالم جريء جديد ذات يوم بكل استحالته ولا انسانيته الباردة ؟ إن الخلاصة الوافية لهذه الأسئلة قد تكبر وتزداد حتى تصبح بحجم دليل هاتف لندن، إذ لا يمر يوم دون أن يبتكر فيه شيء جديد في مكان ما من العالم - وفي كل يوم تتم الإجابة على سؤال فيسقط من قائمة المستحيلات

تلقت جامعة إدنبرج منحة أولية قدرها مئتان وسبعون ألف جنيه استرليني من تروست نوفيلد لابتكار كومبيوتر ذكي وقد وضع النموذج الأولي لهذا الكومبيوتر في حالة حوار مع أحد المرضى فتبين لاحقا أن المريض لم يكن بمقدوره أن يصدق أنه كان يتحدث الى آلة وزعم البروفسور ميتشي الذي صمم هذا الكومبيوتر أن آلته قد بدأت بالكشف عن السيرة الشخصية يدعي هذا العلم الجديد بعلم المستقبل أما هدفه فهو التخطيط للمستقبل والاستقصاء

الدقيق عنه وفهمه بكل الوسائل التقنية والذهنية المتاحة إن خزانات التفكير قد بدأت بالظهور في كل أنحاء العالم وهي تعادل في الوقت الحالي أديرة العلماء الذين يفكرون من أجل المستقبل يعمل في أمريكا وحدها مئة وأربعة وستون من هذه الخزانات التي تتلقى المهام الموكلة إليها من قبل الحكومة وأرباب الصناعة الثقيلة وأشهرهذه الخزانات هو ما يعرف باسم مؤسسة راند في سانتا مونيكا بكاليفورنيا وكانت القوى الجوية الأميركية
هي المسؤولة عن إنشاء هذه المؤسسة في عام 1945 والسبب؟ أراد ضباط من ذوي الرتب العليا انشاء برنامج أبحاث خاص بهم حول الحرب بين القارات ويعمل الآن 843 خبيرة علمية منتخبأ في مركز الأبحاث المؤلف من طابقين الذي يتميز بتصميمه العجيب

هنا تولد الأفكار والخطط الأولى لأسس مغامرات البشر الأكثر استحالة منذ زمن مبكر يعود الى عام 1941 قام العلماء بتقييم الجدوى العسكرية للسفن الفضائية وعندما أنشأت راند البرنامج المخصص للأقمار الصناعية عام ١٩٠١ وصف هذا البرنامج بالطوباوية انذاك ومنذ أن بدأت راند بوظيفتها صار بوسع العالم أن يتشكر هذا المركز على وصفه الدقيق لحوالي ٣٠٠ ظاهرة غير مرصودة سابقة وقد نشر علماء راند أكثر من ١١٠ كتب

ساهمت في تقدم ثقافتنا وحضارتنا تقدمة لا يقدر بثمن ولا يبدو في الأفق أي شيء يدل على وجود نهاية لهذه الأبحاث ومن غير المحتمل أن تكون لها نهاية

يتم القيام بأبحاث مشابهة من أجل المستقبل في المعاهد التالية :
معهد هدسون في هارمون أون هدسون ، نيويورك - مركز تمبو للدراسات المتقدمة يعود لشركة جنرال الكتريك في سانتا بربارا، كاليفورنيا - معهد ارثر ليتل في كامبردج، ماساشوستس - وأخيرة معهد باتيل في كولومبس بأوهايو

إن الحكومات وشركات الأعمال الكبرى لا يمكنها أن تسير بدون هؤلاء المفكرين من أجل المستقبل إذ يتعين على الحكومات أن تحسم مخططاتها العسكرية مسبقة وقبل زمن طويل، وعلى شركات الأعمال الكبرى أن تحسب استثماراتها لعقود لاحقة، وعلى علم المستقبل أن يخطط لإقامة المدن الرأسمالية على مدى مئة عام أو أكثر الى الأمام ومع توفر المعلومات المتاحة في الوقت الحالي لن يكون من الصعب التنبؤ ، مثلا ، بتطور المكسيك في الخمسين سنة القادمة وعند القيام بمثل هذا التنبؤ

يجب أن تؤخذ كل حقيقة ملموسة بعين الاعتبار، كالتكنولوجيا الموجودة ووسائل المواصلات والنقل والتيارات السياسية والمعارضين المحتملين للمكسيك

ثمة حافز الزامي يدفع الجنس البشري للتفكير مقدمة واستشفاف المستقبل بكل الإمكانيات التي بحوزته وبدون هذه الدراسة للمستقبل من المحتمل أننا لن نمتلك الفرصة للكشف عن ماضينا لأن ـ من يدري أن الدلائل الهامة التي تقود الى كشف ماضينا لا تقبع حول المواقع الأثرية، ومن يدري أننا لا ندوس عليها بأقدامنا دون اكتراث لأننا لا نعرف ما الذي نفعله بها

هذا هو السبب في أني دافعت عن فكرة الاحتفال بالعام الأركيولوجي الطوباوي وبنفس الطريقة التي أجد بها نفسي عاجزة عن الايمان بحكمة الأنماط العتيقة في التفكير لا أطالب الآخرين بأن يؤمنوا بفرضيتي

لا داعي للقول أنني أتوقع ، وآمل أن الوقت سوف يحين لمهاجمة واقتحام لغز الماضي بدون أحكام مسبقة، وذلك بالاستفادة من كل مزايا التكنولوجيا

ليس غلطنا في وجود ملايين الكواكب الأخرى في الكون

وليس غلطنا في أن التمثال توكوماي الياباني الذي يبلغ عمره عدة آلاف من السنوات أحزمة حديثة وفتحات عينية على خوذته

وليس غلطنا في وجود نقش حجري نافر في بالنك وليس غلطنا أن الأدميرال التركي بيري ريس لم يحرق خرائطه العتيقة ليس غلطنا أن الكتب القديمة وقصص التاريخ القديم تحفل بالترهات الكثيرة ولكن غلطنا اذا عرفنا كل ذلك وتجاهلناه ورفضنا أخذه على محمل الجد إن أمام الانسان مستقبلا عظيما يفوق ماضيه العجيب ونحن بحاجة الى أبحاث الفضاء والبحث في المستقبل كما أننا بحاجة الى الجرأة في معالجة المشاريع التي تبدو الآن مستحيلة على سبيل المثال، إن مشروع

المحتويات

مقدمة

الفصل الأول هل توجد مخلوقات ذكية في الكون

الفصل الثاني

الفصل الثالث عالم الأسرار المستعصية

الفصل الرابع

الفصل الخامس الفضاء في الميثولوجيا قراءة في ملحمة جلجامش

الفصل السادس خيالات وأساطير قديمة و أم حقائق قديمة ؟

الفصل السابع عجائب الماضي / مراكز الرحلات الفضائية

الفصل الثامن جزيرة الفصح : بلاد الرجال الطائرين

الفصل التاسع عجائب أميريكا الجنوبية وغرائب أخرى

الفصل العاشر خبرة سكان الأرض بالفضاء

الفصل الحادي عشر البحث عن اتصال مباشر مع الفضاء

الفصل الثاني عشر

الفهرس